الملامح الفنية والجمالية

في أدبيات
الإمام الشهيد حسن البنا



الدكتور جابر قميحة

أستاذ الأدب العربى - جامعة عين شمس - القاهرة





الملامح الفنية والجمالية في أدبيات الإمام الشهيد/ حسن البنا

الدكتور/ جابر قميحة

أستاذ الأدب العربي – جامعة عين شمس – القاهرة

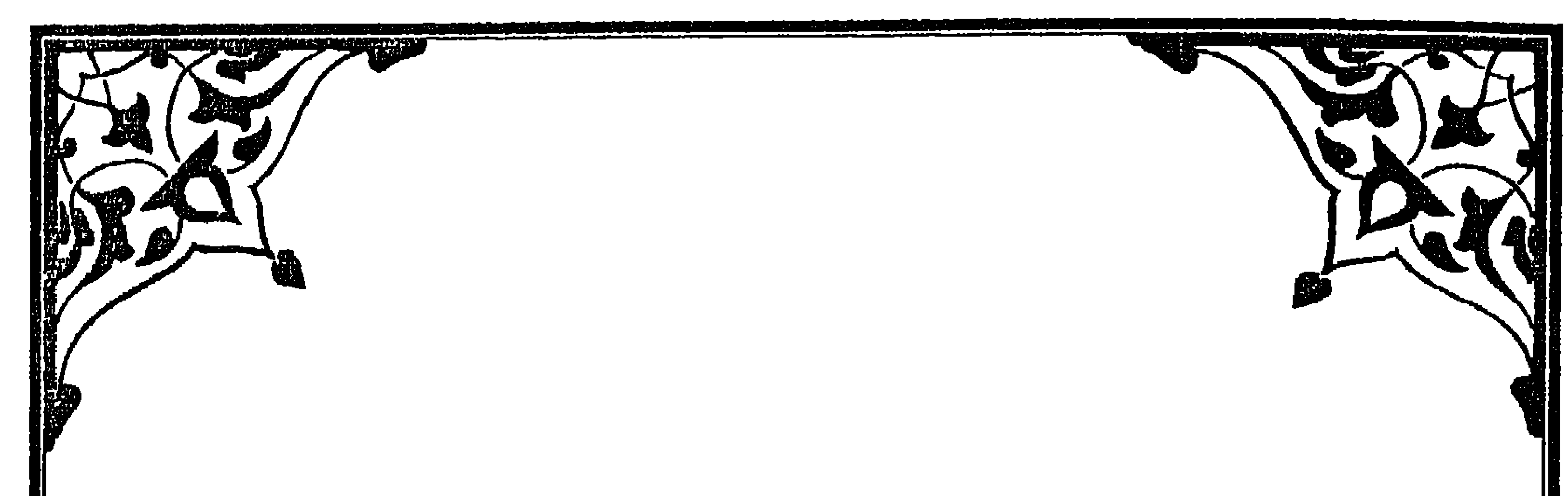
بطاقة فهرسة
فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

قميحة، جابر
الملامح الفنية والجمالية في أدبيات الإمام الشهيد حسن البنا/ جابر قميحة – ط١– القاهرة: دار النشر للجامعات، ٢٠٠٧.
١٢٧ص ، ٢٤ سم.
تدمك ٥ ٢٢٦ ٣١٦ ٩٧٧
١ – الأدب العربي – تاريخ ونقد
٢- البنا، حسن، ١٩٠٦-١٩٤٦
أ- العنوان ٨١٠,٩

حقوق الطبع: محفوظة للناشر
الناشر: دار النشر للجامعات
رقم الإيداع: ٢٠٠٧/١٧٥١٤
الترقيم الدولي: I.S.B.N: 977-316-226-5
الكود: ٢/٢٠٢



دار النشر للجامعات
ص.ب (١٣٠ محمد فريد) القاهرة ١١٥١٨
تليفون: ٢٦٣٤٧٩٧٦ - تليفاكس: ٢٦٤٤٠٠٩٤
E-mail: darannshr@link.net



إهـداء

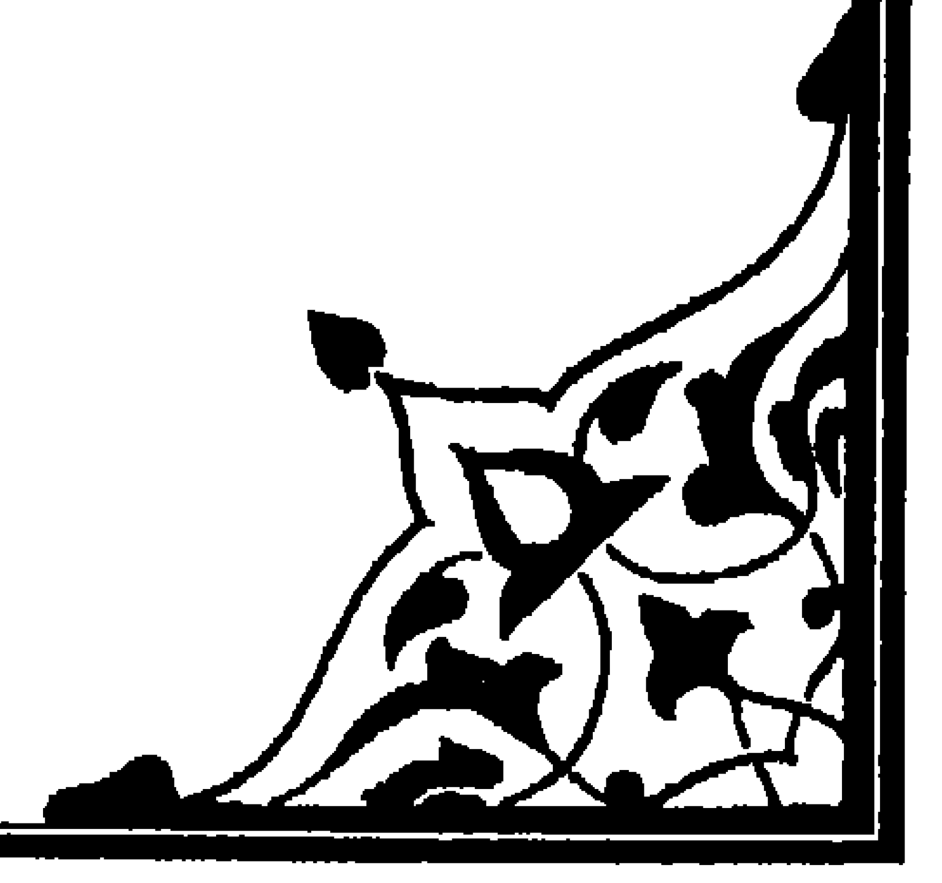
إلى الـذين قـالوا: ربنـا الله ثـم اسـتقاموا، وعلـى الحق أقاموا، فمنهم من قضى نحبه، ومنهم من ينتظر، وما بدلوا تبديلا...

إليهم بصدق وحق ...

أهدي هذه الكلمات...

جابر قميحة





المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد بن عبد الله، خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله أجمعين.

أما بعد:

فقد ظهر الإمام الشهيد حسن البنا، وأسس جماعة الإخوان المسلمين في وقت كانت مصر فيه في أشد الحاجات لمثله؛ إذ كانت مستعبدة استعبادًا شموليًّا؛ فالاستعمار الإنجليزي يضرب أطنابه في أرض الوطن، ويعبث بمقدراته، ويستنزف خيراته، ويتخذ من مصر قاعدة عسكرية لمواجهة أعدائه.

والنظام الملكي لا يرعى مصالح الشعب، فكل همه أن يثبت قواعد حكمه ونفوذه، مع تبعيته للسيد المستعمر، يأتمر بأمره، ويرضخ لإرادته.

والتبشير بدأ يخترق الطبقات الفقيرة، مستغلاً حاجتها للطعام واللباس وضرورات المعاش؛ وذلك لتنسلخ من دينها.. الإسلام الحنيف.

وحركات التغريب تفرض سيطرتها وهيمنتها على نظام التعليم، وتغير من العادات والطوابع الأصيلة لشعبنا المصري الذي بدأ يشعر بالإحباط، والفراغ النفسي والعقدي بعد إلغاء الخلافة العثمانية على يد مصطفى كمال أتاتورك صنيعة اليهود والملاحدة.

ومن ثم كان ظهور الإمام الشهيد بدعوة الإخوان يعني ظهور الرجل المناسب، في الزمن المناسب.

لقد بدأت دعوة الإخوان على يديه «جمعية»، ثم امتدت امتدادها المبارك فصارت «جماعة» .. إلى أن تحولت إلى «تيار».. تيار له مكانه ومكانته في كل أنحاء العالم غربية وشرقية.

وأرى أن الأستاذ يوسف ندا لم يبالغ حينما صرح -في أحد البرامج بقناة فضائية- بأن عدد الإخوان في شتى بقاع العالم لا يقل عن مائة مليون، وهو رقم لم تبلغه حركة دينية، أو سياسية في تاريخ البشرية.

وما خطر لي طيف الإمام الشهيد أو ذكره إلا وبادر إلى ذهني قول الشاعر:

كان من نفسِه الكبيرة في جَيـ ـشٍ وإن خيلَ أنّه إنسانُ

وقول الشاعر الآخر:

وليسَ على الله بمُستكثَرٍ أنْ يجمعَ العالمَ في واحدٍ

فقد كان الإمام الشهيد عبقريًّا عظيمًا، وجوانب العظمة في شخصيته متعددة حتى

ليكفي الرجل أن يتصف بجانب واحد منها ليُشْهَد له بالعظمة والتفوق.

كان الإمام الشهيد موسوعي العبقرية، موسوعي العظمة، موسوعي الفكر، فهو العالم.. الفقيه.. الداعية.. الخطيب.. الكاتب.. الناقد.. السياسي.. المربي..

ومع ذلك رأينا كل من كتب عن الإمام الشهيد صرفوا جهودهم في معالجة هذه الجوانب في عشرات من الكتب، دون النظر إلى الملامح الفنية الجمالية فيما كتب، وفيما قال.

وقد يكون إغفال هذا الجانب هو الذي دفعني إلى كتابة هذا البحث المتواضع عن «الملامح الفنية والجمالية في أدبيات الإمام الشهيد حسن البنا». وقد جاء البحث في ثلاثة أبواب تضم عشرة فصول:

فالباب الأول في تاريخ الإمام والدعوة، ويعد توطئة ومدخلاً لصلب البحث، وعناصره الرئيسية، عرّفت فيه بحياة الإمام، وجهوده الدعوية، وأهم ملامحه النفسية والعقلية.. إلى أن لقي ربه شهيدًا.

وجاء الباب الثاني بعنوان: «أدبيات الإمام: الأبعاد والمنهج»:

عرفت فيه -بإيجاز- مفهوم الأدبيات، ومفهوم الملامح والطوابع الفنية، وعرضت فيه مفردات الأدبيات في خمسة فصول هي بالترتيب:

الخطابة - الترجمة الذاتية - الرسائل - المقال - القصة

ولم تكن معالجتي لهذه المفردات معالجة أفقية مسطحة، بل كانت معالجة متعمقة مستوعبة، تناولت:

- تعريفًا بكل مفردة من هذه الأدبيات.
- بيان منهج الإمام وطريقته فيما قدم.
- الاستعانة بالوقائع التاريخية بقدر المستطاع.

وربما طالت وقفتنا أمام رسائل الإمام، وما ذلك إلا لأنها تمثل أهم معطيات الدعوة، وخطوطها السياسية والتنظيمية.

كما أن رسائله الخاصة التي أرسلها إلى والده -رحمه الله- ترسم صراحة أو ضمنًا خطوطًا مهمة في صورته النفسية والخلقية، وهي بذلك تمثل -في نظري- جانبًا مهمًا في ترجمته الذاتية.

وفيما يتعلق بالمقال نجد الإمام الشهيد قد ترك عددًا من المقالات في «النقد الأدبي» تدل على ذائقة أدبية رفيعة، وقدرة فائقة على الاستبطان والاستيعاب.

وجاء الفصل الخامس -من هذا الباب- عن «القصة»، وكلها من «أقاصيص المغزى» التي تهدف إلى تحقيق القيم الخلقية، والدينية، والسلوكية عند الناشئة والشباب والرجال.

ويعتبر الباب الأخير أهم الأبواب على الإطلاق؛ لأنه يغطي الطوابع والملامح الفنية والجمالية، فهو أدخل الأبواب في «النقد الأدبي».

وفي خمسة فصول تناولت بالإبانة والتحليل، مع ضرب الأمثلة من النصوص، والواقع التاريخي:

الجوانب والعناصر والملامح الفنية بالترتيب الآتي:

- مراعاة مقتضى الحال.
- التصْوير البياني.
- الأسلوب والأداء التعبيري.
- براعة التمثل والاستشهاد.
- العاطفة.

وهذه الملامح كلها كان نهجي في معالجتها يتلخص فيما يأتي:

- تعريف كل ملمح، وتأصيله في اللغة والنقد الأدبي.
- الإكثار من النصوص الدالة على كل ملمح منها.
- مدى الارتباط بين هذه الملامح من جهة، ومعطيات الإمام الدعوية، ومنهجه التربوي من جهة أخرى.

وأخيرًا أدعو الله أن أكون قد وفقت فيما حرصت على تحقيقه. والحمد لله رب العالمين.

الباب الأول

في السيرة والمسيرة

سنوات الطفولة والصبا

ولد حسن البنا ضحى يوم الأحد ٢٥ من شعبان ١٣٢٤ (١٤ من أكتوبر ١٩٠٦) في مدينة المحمودية بمحافظة البحيرة. وكان هو باكورة الأبناء من أبيه الشيخ أحمد عبد الرحمن الذي عاش يهوى العلوم الشرعية، أما عمله فكان إمامًا ومأذونًا بالمحمودية، كما كان يملك دكانًا يزاول فيه هوايته في تصليح الساعات، وزيادة على ذلك احترف تجليد الكتب، واشتغل بعلوم السنة، وقدم في هذا المجال مصنفه الشهير «الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني»، وقد انتهى منه في شهر شوال سنة ١٣٥٢هـ.

وتلقى الطفل حسن البنا تعليمه الأولي بمدرسة الرشاد الدينية، ثم المدرسة الابتدائية بالمحمودية، كما تعلم في صغره من والده صناعة الساعات، وقد أغرم بها، وأخذ يزاولها بعد الانصراف من المدرسة إلى أن تحل صلاة العشاء. وظهرت تطلعاته وطوابعه الدينية والأخلاقية الإصلاحية في صغره؛ فكان عضوًا، ثم رئيسًا لجمعية سميت باسم «جمعية الأخلاق الأدبية»، وكان لها لائحة مكتوبة تنص على فرض غرامات مالية محددة على من يخالف قواعد الأخلاق والآداب الاجتماعية[1].

ثم اشترك في جمعية أوسع دائرة من السابقة باسم «جمعية منع المحرمات» كانت مهمتها توجيه رسائل مكتوبة إلى من يرتكبون المعاصي والآثام، أو يقصرون في الصلاة والفرائض تأمرهم بالمعروف، وتنهاهم عن المنكر.

ثم تعرف على الطريقة الحصافية وهو في الثانية عشرة من عمره، وقرأ كتاب «المنهل الصافي في مناقب حسنين الحصافي» وهو الشيخ الأول للطريقة، وأعجبه من سيرة الشيخ حرصه على «نشر دعوة الإسلام على القواعد السليمة، والغيرة العظيمة على محارم الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»[2]. وقادته هذه النزعة الصوفية في صورتها الروحانية العملية إلى أن يؤسس مع بعض إخوانه -وأهمهم صديقه الحميم أحمد السكري- جمعية باسم «جمعية الحصافية الخيرية»، وقد وزعت جهادها على ميدانين:

الميدان الأول: نشر الدعوة إلى الأخلاق الفاضلة، ومقاومة المنكرات والمحرمات الفاشية كـ: الخمر والقمار وبدع المآتم.

والميدان الثاني: مقاومة الإرسالية الإنجيلية التبشيرية التي هبطت البلد واستقرت فيه.

---

(١) انظر بالتفصيل: الإمام الشهيد: مذكرات الدعوة والداعية، دار الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ١٩٩٠، ص(١٧-١٨).

(٢) السابق، ص(٢٥).

في القاهرة طالبًا

وبعد أن أنهى حسن البنا دراسته بدار المعلمين بدمنهور انتقل إلى القاهرة، والتحق بدار العلوم، وتخرج فيها سنة ١٩٢٧، وكان ترتيبه الأول. وأثناء سنوات الطلب في دار العلوم رأى في القاهرة من مظاهر الفساد والانحلال الكثير والكثير، واكتشف أن إلقاء المواعظ في المساجد لم يعد يكفي لمواجهة هذه التحديات اللاأخلاقية، فاتفق مع عدد من إخوانه في دار العلوم والأزهر على أن يتجهوا بوعظهم إلى المقاهي، ونجحت التجربة نجاحًا باهرًا، ويصور ذلك حسن البنا في مذكراته بقوله: «.. كان شعور السامعين عجيبًا، وكانوا ينصتون في إصغاء، ويستمعون في شوق، وكان أصحاب المقاهي ينظرون بغرابة أول القول، ثم يطلبون المزيد منه بعد ذلك، وكان هؤلاء يقسمون بعد الخطبة أننا لابد أن تشرب شيئًا، أو تطلب طلبات، فكنا نعتذر لهم بضيق الوقت، وبأننا نذرنا هذا الوقت لله، فلا نريد أن نضيعه في شيء. وكان هذا المعنى يؤثر في نفوسهم كثيرًا، ولا عجب فإن الله لم يرسل نبيًا ولا رسولاً إلا كان شعاره ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا﴾ [الأنعام:٩٠] لما لهذه الناحية العفيفة من أثر جميل في نفوس المدعوين.. »[١].

وبعد إلغاء الخلافة الإسلامية في تركيا بدأ تيار العلمانية والإلحادية والمروق من القيم يندفع، ويهدد كيان الوطن، وفي ذلك يقول الإمام الشهيد في مذكراته:

«فهأنذا أرى أن الأمة المصرية العزيزة تتأرجح حياتها الاجتماعية بين إسلامها الغالي العزيز الذي ورثته وحمته، وألفته وعاشت به، واعتزَّ بها أربعة عشر قرنًا كاملة، وبين هذا الغزو الغربي العنيف المسلح المجهز بكل الأسلحة الماضية الفتاكة من: المال والجاه والمظهر والمنعة والقوة ووسائل الدعاية»[٢].

وبإيمان قوي وشعور فياض بدأ حسن البنا يتصل بذوي الحماسة الإسلامية والغيرة على الدين من العلماء والكتاب مثل: الشيخ يوسف الدجوي، ومحمد الخضر حسين، ومحب الدين الخطيب.

وكان من ثمرات هذا الاتصال وتلك اللقاءات إنشاء مجلة «الفتح» التي كانت -كما يقول حسن البنا- «مشعل الهداية والنور لهذا الجيل من شباب الإسلام المثقف الغيور»[٣]، ثم كان من الثمرات كذلك فيما بعد إنشاء جمعية «الشبان المسلمين».

---

(١) السابق، ص(٦٢).

(٢) السابق، ص(٦٦).

(٣) السابق، ص(٧١).

ولاشك أن كل هذه المشاعر والسلوكيات كانت إرهاصات وتمهيدات طبيعية لإنشاء جماعة «الإخوان المسلمين»، يدل على ذلك ما كتبه حسن البنا في الموضوع التعبيري الأخير بالسنة النهائية بدار العلوم، وكان عن «آمال الطالب بعد أن يتم دراسته»، وفيه يقول: إن أمله العام «أن يكون مرشدًا معلمًا: إذا قضى في تعليم الأبناء سحابة النهار قضى ليله في تعليم الآباء هدف دينهم، ومنابع سعادتهم، ومسرات حياتهم، تارة بالخطابة والمحاورة، وأخرى بالتأليف والكتابة، وثالثة بالتجول والسياحة»[1]. ويعلن أنه يرصد لنشر هذه الدعوة «..نفسًا باعها لله صفقة رابحة، وتجارة بمشيئته منجية، راجيًا منه قبولها..»[2].

في الإسماعيلية مدرسًا ومؤسسًا

ويحقق الله أمله، ويعين مدرسًا في مدينة الإسماعيلية في سبتمبر ١٩٢٧. وفي ذي القعدة سنة ١٣٤٧ (مارس سنة ١٩٢٨) كون مع ستة من أهلها أول شعبة للإخوان المسلمين.

وكانت السنوات الخمس التي قضاها في الإسماعيلية -مدرسًا ومرشدًا- سنوات خير وبركة، فقد استطاع أن يوفق بنجاح فائق بين وظيفته الحكومية -مدرسًا مثاليًا بالمرحلة الابتدائية- ومرشدًا يدعو إلى الله على هدى وبصيرة في المدينة والقرى.. في المساجد والمحافل والمقاهي.

وفي الإسماعيلية بنى الإخوان دارًا ومسجدًا ومدرسة سموها «معهد حراء»[3].

وأنشأ الإخوان كذلك مدرسة للبنات باسم «مدرسة أمهات المؤمنين». كما أنشأ الإخوان قسمًا خاصًا «للأخوات المسلمات» يتألف من زوجات الإخوان وقريباتهم.

ومن الإسماعيلية انطلقت الدعوة واتسع نطاقها، وأنشئت شعب للإخوان في عدد من القرى والمدن مثل: أبو صوير وبورسعيد والسويس وشبراخيت والمنزلة وجديدة المنزلة والمطرية وميت خضير والبصراط وميت سلسيل وبرِمْبَال القديمة وميت عاصم وغيرها.. وكلها مدن وقرى في شمال دلتا النيل.

وتزوج حسن البنا فتاة من أسرة صالحة هي أسرة الصولي، وتطلع إلى الانتقال والعمل بالقاهرة، وطلب رسميًا نقله إليها، فحقق الله له ما أراد في أكتوبر سنة ١٩٣٢.

---

(١) السابق، ص(٧٤).

(٢) السابق، نفس الصفحة.

(٣) السابق، ص(١٢٢)- سجل الإمام الشهيد أن أول جمعية للإخوان قامت في الإسماعيلية في ذي القعدة ١٣٤٧ لأبريل ١٩٢٨، والتاريخان لا يتوافقان: فلو اعتمدنا العربي (ذو القعدة ١٣٤٧) لكان موافقًا لأبريل ١٩٢٩. ولو اعتمدنا على الإفرنجي (مارس ١٩٢٨) لكان موافقًا لشوال ١٣٤٦. انظر: محمد مختار باشا: التوفيقات الإلهامية، الطبعة الأولى، ١٩٨٠، (٢/ ١٤٧-١٤٨).

في القاهرة .. الانطلاقات الكبرى

وفي القاهرة اتسع نشاط الإخوان لينتظم الأنواع الآتية:

١- المحاضرات والدروس في الدور والمساجد، وتأسيس درس الثلاثاء.

٢- إصدار رسالة المرشد العام عددين فقط، ثم مجلة الإخوان المسلمين «الأسبوعية»، وفي أثناء ذلك مجلة «النذير».

٣- إصدار عدد من الرسائل والنشرات.

٤- إنشاء الشعب في القاهرة، وزيادة شعب الأقاليم، ونشر الشعب في الخارج.

٥- تنظيم التشكيلات الكشفية والرياضية.

٦- تركيز الدعوة في الجامعة والمدارس، وإنشاء قسم الطلاب، والانتفاع بجهود الأزهر الشريف: علمائه وطلابه.

٧- إقامة عدة مؤتمرات دورية للإخوان في القاهرة والأقاليم.

٨- المساهمة في إحياء الاحتفالات الإسلامية والذكريات المجيدة في القاهرة والأقاليم كذلك.

٩- المساهمة في مناصرة القضايا الإسلامية الوطنية، وبخاصة قضية فلسطين.

١٠-تناول الناحية الإصلاحية السياسية والاجتماعية بالبيان والإيضاح والتوجيه، وكتابة المذكرات والمقالات والرسائل بهذا الخصوص.

١١-المساهمة في الحركات الإسلامية كحركة مقاومة التبشير، وحركة تشجيع التعليم الديني.

١٢-مهاجمة الحكومات المقصرة إسلاميًّا، ومهاجمة الحزبية، والدعوة في وضوح إلى المنهاج الإسلامي، وتأليف اللجان لدراسات فنية في هذه النواحي[١].

وفي القاهرة صدرت مجلة «الإخوان المسلمون» الأسبوعية، وقد استمر صدورها أربع سنوات، وتلتها في الصدور مجلات أخرى مثل: النذير والمنار، ثم صحيفة «الإخوان المسلمون» اليومية التي ظلت تصدر إلى أن حلت الجماعة عام ١٩٤٨. كما أصدر الإمام البنا سنة ١٩٤٧ مجلة شهرية للدراسات الإسلامية باسم «الشهاب».

وفي القاهرة كان «المركز العام» للجماعة كلها، ووضع النظام الأساسي للجماعة فهناك المرشد العام، ومكتب الإرشاد، ثم الهيئة التأسيسية والمكاتب الإدارية والمناطق

---

(١) السابق، ص(١٨٠-١٨١).

والشُّعَب التي تجاوز عددها ألف شعبة في مصر كلها. وأخذت الدعوة طريقها إلى البلاد العربية، فأنشئت شعب في الأردن وفلسطين والشام، وانفتحت الدعوة على كل فئات الشعب فأنشأ مكتب الإرشاد الأقسام الآتية:

١- قسم نشر الدعوة.
٢- قسم العمال.
٣- قسم الفلاحين.
٤- قسم الأسر.
٥- قسم الطلبة.
٦- قسم الاتصال بالعالم الإسلامي.
٧- قسم التربية.
٨- قسم الصحافة.
٩- قسم المهن.
١٠-قسم الأخوات المسلمات.

وحدد لكل قسم من الأقسام السابقة مهامه واختصاصاته.

وانتشرت الدعوة بين الطلبة على نطاق واسع، وأصبح للإخوان ثقل واضح في الجامعات المصرية، كما كان لهم تأثيرهم الفعال في توجيه المسارات السياسية.

وتوالى صدور رسائل الإمام البنا تحمل فكر الجماعة، وتشرح أهدافها ووسائلها وأساليبها، ومن هذه الرسائل ما وجهه الإمام البنا إلى الملكين فؤاد وفاروق، ورؤساء الوزارات، وذوي المراكز المرموقة، وكلها تتناول القضايا الإسلامية والعربية والاجتماعية، وموقف الإخوان منها، ورؤيتهم الخاصة لها، والحلول التي يرونها، وهي حلول تنطلق من الفهم العملي الشامل لمبادئ الدين الحنيف.

المرشد وخوض الانتخابات النيابية

وتفاعلاً مع الحياة السياسية المصرية بهدف الإصلاح رشح المرشد نفسه عن دائرة الإسماعيلية مرتين: المرة الأولى سنة ١٩٤٢، ولكنه تنازل عن ترشح نفسه بعد لقاء مع النحاس باشا رئيس الوزراء صارحه فيه بأن الإنجليز -وهم الذين يصرفون أمور مصر وسياستها- يضغطون على الحكومة ضغطًا رهيبًا بضرورة تنازل المرشد عن ترشيح نفسه. والرفض -في ظروف الحرب العصبية- قد يؤدي إلى نكبة على مصر، وفي استطاعة الإنجليز -على حد قول النحاس- «أن يدمروا البلد في ساعتين»[(١)].

فآثر المرشد مصلحة مصر، وتنازل عن الترشيح، على الرغم من معارضة مكتب الإرشاد في أول الأمر. وجاءت وزارة أحمد ماهر (الأولى) في ٨ من أكتوبر سنة ١٩٤٤، وأعلنت عن عزمها إجراء انتخابات نيابية «نزيهة»، وقرر الإخوان خوض هذه

---

(١) فريد عبد الخالق: الإخوان المسلمون في ميزان الحق، دار الصحوة، القاهرة، ١٤٠٨- ١٩٨٧، ص(٣٥).

الانتخابات، ورشح المرشد نفسه في دائرة الإسماعيلية، وأرسلت السفارة الإنجليزية خطابًا سريًّا إلى أحمد ماهر لمنع المرشد من ترشيح نفسه، والتقى أحمد ماهر بالمرشد وطلب منه التنازل، وألح في الطلب، ولكن الإمام البنا رفض طلب رئيس الوزراء رفضًا قاطعًا.

وفي ويوم الانتخاب واجه المرشد والإخوان حربًا حقيقية، فكان الذي يشرف على الانتخاب هو الحكمدار الإنجليزي لمدينة الإسماعيلية، وتدخل الجيش البريطاني في الانتخابات تدخلاً سافرًا، وأحضروا آلافًا من عمال المعسكرات الإنجليزية، وتم تزوير الانتخابات، وظهرت النتائج بإعادة الانتخابات بين المرشد ومرشح آخر.

وفي الإعادة تكثفت وتضاعفت جهود الحكومة المصرية والحكمدار الإنجليزي والقوات البريطانية وعشرات الآلاف من عمال الجيش البريطاني، وزورت الانتخابات على نحو أفدح، وكانت النتيجة معروفة مقدمًا وهي سقوط المرشد[1].

قضايا العالم الإسلامي

واهتم الإخوان اهتمامًا بالغًا بقضايا العالم الإسلامي، وفتحوا صدورهم للمضطهدين والجاهدين الذين أخذ المستعمرون وأعداء الإسلام يطاردونهم في كل مكان.

ووجهوا أكبر اهتمام إلى القضية الفلسطينية، وقدموا من أجلها التضحيات بالجهد والوقت والمال والدم، وتقدمت كتائب الإخوان، وسجلت على اليهود انتصارات باهرة في معارك طاحنة مازال بعضها يدرس في الأكاديميات العسكرية في العالم[2].

وكان دخول الجيوش العربية أرض فلسطين سقطة كبرى، ولم تستمع الحكومات العربية لمقولة الإمام الشهيد: «إن دولة الباطل قامت على أكتاف عصابات صهيونية، ولا ينهي وجودها إلا عصابات إسلامية».

وتوالت السقوطات الفادحة، فبينما كان الإخوان يسجلون أروع الانتصارات، ويتأهبون لاحتلال القدس الجديدة فوجئوا بقبول الحكومات العربية الهدنة الأولى في ١١ من يونيو ١٩٤٨، وكانت فرصة لليهود لالتقاط الأنفاس وتكريس القوة، واستيراد أنواع متطورة من الأسلحة، واستأنفوا القتال، وتقهقر الجيش المصري، وحوصرت بعض قواته في

---

(١) انظر: محمود عبد الحليم: الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ، دار الدعوة، الإسكندرية، الطبعة الأولى، (٣٢٦/١)- الإخوان المسلمون في ميزان الحق، ص(٤٥-٤٦)- وريتشارد ب. ميتشل: الإخوان المسلمون، ترجمة الدكتور محمود أبو السعود، دار الوفاء، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٩٩-١٩٧٩، هامش ص(١١٢) من تعليقات الأستاذ صالح أبو رقيق.

(٢) ارجع في تفصيل ذلك إلى كتاب: كامل الشريف: الإخوان المسلمون في حرب فلسطين، مكتبة المنار، الأردن، دار الوفاء، المنصورة، مصر، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤- ١٩٨٤، ص(٥٧-٧٦، ١٤٢- ١٤٩).

الفالوجة، وارتكب اليهود مذابح وحشية كان أشهرها مذبحة «دير ياسين» في ٩/ ٤/ ١٩٤٨. وأصبحت كتائب الإخوان هي القوة الفاعلة الوحيدة في فلسطين، فلا عجب أن تتكالب الصهيونية العالمية والقوى الاستعمارية، والساسة والحكام الخونة على ضرب الإخوان وإيقاف قوتهم العسكرية المنتصرة في فلسطين.

حل الجماعة

وقع في القاهرة بعض حوادث العنف والنسف الفردية نسبت إلى أفراد من الإخوان. وفي ١٠ من نوفمبر سنة ١٩٤٨ اجتمع ممثلو بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة في فايد - وهي قاعدة بريطانية تقع على قناة السويس والبحيرات المرة، وأجمعوا على ضرورة حل جمعية «الإخوان المسلمين»، وتقدمت السفارة البريطانية بهذا الطلب -بل هذا الأمر- لرئيس الوزراء محمود فهمي النقراشي الذي أصدر في ٨ من ديسمبر ١٩٤٨ الأمر العسكري رقم٦٣ «بحل جماعة الإخوان وشعبها أينما وجدت، وبغلق الأماكن المخصصة لنشاطها وبضبط جميع الأوراق والوثائق والمجلات والمطبوعات والمبالغ والأموال، وكافة الأشياء المملوكة للجمعية»[1].

وقد علل الإمام الشهيد اندفاع النقراشي إلى حل الإخوان بتعليلات حقيقية خلاصتها:

١-الضغوط الأجنبية على حكومة النقراشي بضرورة حل الإخوان، وذلك بعد اجتماع فايد في ١٠/ ١١/ ١٩٤٨، واستجابة لهذا الأمر صدر قرار الحل في ٨/ ١٢/ ١٩٤٨، وقد أقر وكيل وزارة الداخلية عبد الرحمن عمار بذلك.

ولم يكن هذا جديدًا على القوى الاستعمارية: ففي سنة ١٩٤٢ -والحرب العالمية على أشدها- طلب السفير البريطاني من رئيس الوزراء مصطفى النحاس حل الإخوان ولكنه رفض، واكتفى بإغلاق الشُّعب مع بقاء المركز العام إلى حين.

٢-اقتراب موعد الانتخابات التي زعمت حكومة السعديين أنها ستكون في أكتوبر سنة ١٩٤٩، وتصفية الإخوان، وتشويه سمعتهم تفسح المجال للسعديين للحصول على الأغلبية كما كانوا يعتقدون.

---

(١) انظر: محمد شوقي زكي: الإخوان المسلمون والمجتمع المصري، ص(٢٣-٢٤)- وميتشل: الإخوان المسلمون، ص(١٧١)- الإخوان المسلمون في ميزان الحق، ص(٥٣). وقد نشرت مجلة «الدعوة» في عددها الأول الصادر يوم الثلاثاء ٢٢ من ربيع الآخر١٣٧٠-٣٠ يناير١٩٥١ تحقيقًا مدعمًا بالوثائق والصور للتسلسل التاريخي لحل الإخوان ابتداء من ١٠ نوفمبر وانتهاء بقرار الحل الصادر في ٨ ديسمبر ١٩٤٨. وراجع في تفاصيل هذا المخطط: عبد المتعال الجبري: لماذا اغتيل الإمام الشهيد حسن البنا، دار الاعتصام، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٨-١٩٧٨، ص(١٣٢-١٣٧).

٣-رغبة الحكومات العربية في إنهاء قضية فلسطين بالصورة التي يريدها المستعمرون ومواليهم، وكان الإخوان هم القوة الوحيدة الضاربة التي تقف في وجه الحلول الاستسلامية والتفريط في الحق الفلسطيني.

وأكدت الأيام صدق ما استنتجه الإمام البنا، فبعد أن اغتيل مساء ١٢/ ٢/ ١٩٤٩، وقعت اتفاقية الهدنة بين مصر وإسرائيل في جزيرة رودس في ٢٤/ ٢/ ١٩٤٩، وسحب الجيش المصري من فلسطين، وعشنا بعد ذلك «حياة من التنازلات المؤسفة المخزية على ما هو مشاهد على الساحة العربية حاليًا»[١].

الاغتيال... والشهادة...

واستكمالاً لحلقات المؤامرة دبرت جريمة اغتيال المرشد في الخامسة من مساء السبت ١٢ من فبراير سنة ١٩٤٩، وكان التدبير دقيقًا، فقبل الاغتيال اتخذت الحكومة من الخطوات والأعمال التمهيدية ما يأتي:

١- سحبتْ من المرشد سلاحه المرخص، وهو وسيلته الوحيدة للدفاع عن نفسه.
٢- رفضت الحكومة طلبًا تقدم به لكي يُعتقل مع أصحابه ومريديه.
٣- رفضت الحكومة كذلك طلبه بأن ينزل ضيفًا مقيمًا بعزبة أحد الإخوان بالريف، وألقت القبض على صاحب العزبة، وكذلك منعته من السفر إلى الخارج، أو التنقل من مكان إلى مكان داخل القطر بغير إذن من الحكومة.

وأمام جمعية الشبان المسلمين في شارع الملكة نازلي أُطلق عليه الرصاص، واستقل الجناة سيارة سوداء ثبت بعد ذلك أنها سيارة القائمقام محمد عبد المجيد مدير إدارة المباحث الجنائية بوزارة الداخلية، وقد قُدم -بعد قيام الثورة- للمحاكمة هو وعدد من كبار الضابط ورجال المباحث.

وبعد إطلاق الرصاص تحامل الإمام البنا على نفسه، وذهب إلى الإسعاف.

ويقال: إن أوامر مشددة صدرت إلى الأطباء بتركه ينزف إلى أن لفظ أنفاسه الأخيرة، ليلحق بركب النبيين والصديقين والشهداء، وحسن أولئك رفيقًا[٢].

---

(١) انظر: الإخوان المسلمون في ميزان الحق، ص(٥٣-٥٥)- الإخوان المسلمون والمجتمع المصري، ص(٢٩-٣١).
وللتوسع راجع: د: عبد الوهاب الكيالي وآخرون: موسوعة السياسة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٠، (٤/ ٥٨١). وكذلك (٧/ ١٠٣-١٠٦)، الطبعة الأولى، ١٩٩٤.

(٢) ارجع إلى: عباس السيسي: في قافلة الإخوان المسلمين، دار الطباعة والنشر والصوتيات، الإسكندرية، الطبعة الثانية، ١٤٠٧-١٩٨٧، (١/ ٢٨٣-٢٨٤).

صورة نفسية

إننا لو أردنا أن نرسم صورة نفسية لحسن البنا ما اتسع لذلك ضعف هذا الكتاب الذي نقدمه للقارئ، وما هذه الكلمات التي نكتبها عن مسيرة حياته وأبعاد شخصيته إلا مدخلاً وتوطئة للموضوع الأصلي للكتاب وهو: وقفة نقدية وتقييمية مع رسائله، وخصوصًا رسائله إلى «الكبار» من رجال السياسة والمجتمع، وكذلك رسائله إلى والده في شبابه.

ولكننا لا نغلو إذا قلنا: إنه كان يمثل في حياة العالم الإسلامي «الرجل الأمّة»، فقد عاش ثقيل الميزان، عالمًا، خطيبًا قوي البيان، مؤمنًا بالله إلى أقصى حدود الإيمان، ذكيًّا خارق الذكاء، بعيد النظر في أعماق النفوس، وآماد الأحداث، يتمتع بأعظم الحظوظ من روح الأبوة والسماحة والقدرة على تطويع النفوس وتوجيهها وتربيتها، وساعده على كل أولئك قوة الذاكرة بصورة لم يسمع أحد، ولم يشاهد أحد لها مثيلاً في عصره، وربما في عصور سابقات. وفي ذلك يقول تلميذه عمر التلمساني -وهو المرشد الثالث للجماعة بعد الإمامين حسن البنا وحسن الهضيبي: كانت له ذاكرة غير مألوفة في قوتها، إذا سأل أخًا عن اسمه مرة وابنه وأبيه وعمله، ثم التقى به بعد أشهر طوال حياه باسمه وسأله عن والده فلان وابنه فلان، وكان ذلك مثار العجب عند الجميع، ولو علمت عدد شعب الإخوان أيام حياته، ولكل شعبة مسئول، ثم هو بعد ذلك يعرف كل مسئول عن كل شعبة، وهو الذي يعرّف الآخرين بهم لأذهلتك هذه الذاكرة الجبارة التي ما ضاقت يومًا عن اسم، أو غاب عنها حدث مهما طال به الزمن.

كانت هذه الذاكرة تواتيه بالوقائع على وجهها الصحيح إذا أراد مجادل أن يحاور أو يكابر فيرده إلى الواقعة بزمانها ومكانها وأفرادها وملابساتها، كأنما يقرأ من كتاب، بلا تحد ولا محاولة إحراج، ولكنه الإقناع المترفق، حتى ليظن العائد إلى الحق أنه هو الحق. كما كانت هذه الذاكرة المتوقدة سببًا في إزالة الكثير من المشاكل بين الإخوان إذا ما رجعوا إليه، وإذا ما دعا الأمر إلى سرد أحداث معينة سردها كأنما تسمعها من شريط مسجل[(١)].

وأغرب الوقائع التي تدل على قوة ذاكرة الإمام البنا -رحمه الله- ما كان بينه وبين كتاب «مستقبل الثقافة في مصر» الذي كتبه طه حسين، ودعا فيه إلى «تغريب» التعليم والثقافة ووسائل العيش والحياة. ويحكي الإمام البنا قصته مع هذا الكتاب للأستاذ محمود عبدالحليم، فيذكر أن المسئولين في جمعية الشبان المسلمين أصروا على سماع رأي الإخوان في هذا

---

(١) عمر التلمساني: الملهم الموهوب حسن البنا أستاذ الجيل، دار النصر للطباعة، القاهرة، د.ت، ص(٢٨).

الكتاب، وخصوصًا بعد أن أعلن طه حسين بوصفه «مستشار وزارة المعارف» إصراره على وضع آرائه موضع التنفيذ، وطبع المسئولون في جمعية الشبان المسلمين الدعوات لحضور محاضرة يلقيها الأستاذ المرشد عن كتاب «مستقبل الثقافة في مصر» بعد خمسة أيام، ولم يكن الأستاذ البنا قد قرأ الكتاب، ولم يجد وقتًا يخصصه لقراءة الكتاب إلا فترة ركوبه الترام في الصباح إلى مدرسته، وفترة رجوعه منها، وكان يضع علامات بالقلم الرصاص على فقرات معينة، ولم تمض الأيام الخمسة حتى استوعب الكتاب كله.

يقول الأستاذ البنا: «وفي الموعد المحدد ذهبت إلى دار الشبان فوجدتها -على غير عادتها- غاصة، والحاضرون هم رجال العلم والأدب والتربية في مصر... ووقفت على المنصة، واستفتحت بحمد الله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبجانبي الدكتور يحيى الدرديري السكرتير العام للشبان المسلمين، ورأيت الكتاب كله منطبعًا في خاطري بعلاماتي التي كنت علمتها بالقلم الرصاص. وبدأت أول ما بدأت فقلت: إنني لن أنقد هذا الكتاب بكلام من عندي، وإنما سأنقد بعضه ببعضه، وأخذت -ملتزمًا بهذا الشرط- أذكر العبارة من الكتاب، وأعارضها بعبارة أخرى من نفس الكتاب. ولاحظ الدكتور الدرديري أنني في كل مرة أقول: يقول الدكتور طه حسين في الكتاب في صفحة كذا.. وأقرأ العبارة بنصها من خاطري، ثم أقول: ويناقض الدكتور طه نفسه فيقول في صفحة كذا.. وأقرأ العبارة بنصها أيضًا من خاطري. فاستوقفني الدكتور الدرديري، وطلب إلي أن أمهله حتى يحضر نسخة من الكتاب ليراجع معي النصوص والصفحات؛ لأنه قرأ الكتاب، ولم يلاحظ فيه هذا التناقض، وكأنه لم يقرأ العبارات التي يسمعها الآن. وأُحضِر له الكتاب، وظل يتابعني، فيجد العبارات لا تنقص حرفًا، ولا تزيد حرفًا، ويجد الصفحات كما أحددها تمامًا، فكاد الدكتور الدرديري يجن، كما ساد الحاضرين جو من الدهشة والذهول، والكل يتجه -كلما قرأت من خاطري عبارتين متناقضتين- إلى الدكتور الدرديري كأنهم يسألونه: أحقًا هذه العبارات في الكتاب؟ فيقول الدكتور الدرديري في كل مرة: تمامًا بالنصوص والصفحات.

وظللت على هذه الوتيرة حتى أنهيت الكتاب كله، وأنهيت المحاضرة، فقام الجميع -وفي مقدمتهم الدكتور الدرديري- بين معانق ومقبل»[1].

وقد يوظف الإمام الشهيد قوة ذاكرته هذه في اعتبارات إنسانية لنفع الآخرين، ووقايتهم من الضرر والإيذاء، ومن ذلك ما رواه واحد من تلاميذه هو محمد لبيب

---

(١) الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ، (١/ ٢٤٠-٢٤١). وبعد ذلك بمدة ألقى الإمام الشهيد -بطلب منه- محاضرة قوية عن الكتاب في جامعة القاهرة مبينًا خطورة الكتاب على العقيدة، واستمرت المحاضرة عدة ساعات. انظر: عمر التلمساني: ذكريات لا مذكرات، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٨٥، ص(٤٦).

البوهي قال: «حضرت مرة إحدى خطبه الموسمية في عواصم الأقاليم، وكانت الظروف الدولية تجتاز مرحلة دقيقة، فكانت كل كلمات الرجل تدون، وتراجع بعد إلقائها.

وقد جاء إلى الحفل مأمور الإدارة، ومعه أحد رجاله، وقد كلفه المأمور بتدوين خطاب الأستاذ البنا.

وراح الرجل يدون ما يسمع، ولكن الساعات امتدت، ونسي الرجل نفسه، وانساق مع مشاعر الجموع في إمتاع نفسه وروحه بالسماع فحسْب، حتى إذا انتهى الحفل، وعلم المأمور بإهمال مندوبه شحب وجهه واضطرب، فقد كان رئيسه في انتظار هذا الخطاب، وأحاطت بالرجل همومه، ولم يدر ماذا يصنع، ورئيسه بالتليفون يتعجله.

وعلم الإمام المرشد، فطلب المأمور إليه، وطمأنه، وراح الإمام بنفسه بعد هذا الإجهاد الطويل ساعات وساعات مما قد يحتاج إليه بعض الخطباء إلى راحة أيام وأيام، وراح الإمام بنفسه يكتب خطابه الذي ألقاه، وأنقذ الرجل من مسئولية دقيقة. هكذا أصحاب النفوس الكبار»[1].

وثمة إجماع على أن الإمام الشهيد كان ذا قدرة فائقة على إقناع الآخرين واستمالتهم بحجج فيها من القوة قدر ما فيها من الوضوح والتبسط والتدفق، ومن شواهد ذلك أنه -رحمه الله- اجتمع بأستاذ جامعي درس في أوروبا، وراح الأستاذ الجامعي يقول: من المحال أن تكسبني إلى صفك؛ فإن الدين شيء، والسياسة شيء، ولن يجتمعا.

قال المرشد متسائلاً في تواضع: ما الدين؟ وما السياسة؟

قال الأستاذ الجامعي: إن الدين هو القوة الروحانية العليا، والسياسة مهاترات وأكاذيب.

قال الإمام الشهيد: أوافقك تمامًا فيما ذهبت إليه، ومن المستحيل أن يرى عاقل أن تجتمع القوة الروحانية بالمهاترات والأكاذيب. ولكن: ما هو الإسلام؟

قال الأستاذ الجامعي: هو النظام الذي يربط الدنيا بالآخرة، ويجعل الإنسان في حياته يعمل وهو موقن أنه محاسب عما يأتي من عمل أو قول.

قال المرشد: ومن علم الإنسان هذا النظام؟

قال الأستاذ الجامعي: محمد ﷺ.

قال المرشد: إن محمدًا ﷺ كان يعلم الناس الصلاة مثلاً، وهي شأن من شئون الآخرة.

---

(١) محمد لبيب البوهي: الإيمان والرجل، دار الطباعة المصرية الحديثة، د.ت، ص(٥٦-٥٧).

-هو ذاك.

- وإذا تخاصم بعض الناس في زمن النبي ﷺ إلى من كانوا يتحاكمون؟

- إلى محمد ﷺ.

- وهل يرتضون حكمه وينزلون عنده؟

- نعم؛ فإن ذلك من الإيمان.

قال الإمام المرشد: إذن محمد ﷺ كان يرى نفسه مسئولاً عن تنظيم حياة الناس.

- نعم لا ريب في ذلك.

- وتنظيم الحياة أمر ليس من أمور الآخرة؛ لأنه متصل بحاضر الناس في حياتهم التي يعيشونها على الأرض؟

- هذا حق.

- إذن فقد كان محمد ﷺ يعنى بتنظيم دنيا الناس.

وهنا سكت الأستاذ الجامعي.

وابتسم الإمام المرشد، وراح يقول ليعينه على الجواب: أعني أنه كان ينظم دنياهم على قواعد الأخلاق.

- أوافق على ذلك تمامًا.

- لقد التقينا: فدعوتنا هي وضع قواعد الأخلاق في كل أمر من أمور الدنيا، والسياسة التي تسميها أنت مهاترات وأكاذيب نريد أن نطعمها بالأخلاق الفاضلة.

وسكت الأستاذ الجامعي وابتسم.. سكت سكوت الرضا، وابتسم ابتسامة الموافقة[١].

ويسقط أدعياء الزعامة من المتشيئين، والمتعملقين، ويهيل عليهم التاريخ تلالاً من الطين والبصاق، ويبقى حسن البنا في ذاكرة التاريخ إشراقة متوهجة لا تخبو ولا تذبل ولا تموت. وتبقى مسيرة حياته وفكره مدادًا ومددًا لحملة الأقلام الشريفة الأصيلة، من شرقيين أوفياء مؤمنين، وغربيين عدول منصفين، ومن هؤلاء الكاتب الأمريكي روبير جاكسون في كلمات تتدفق بشعور يمتزج فيه الإعجاب والعجب بالحزن واللوعة والأسى:

- هذا الشرق لا يستطيع أن يحتفظ طويلاً بالكنز الذي يقع في يده.

- إنه رجل لا ضريب له في هذا العصر.. لقد مرَّ في تاريخ مصر مرور الطيف العابر الذي لا يتكرر.

---

(١) السابق، ص(٤٥-٤٧).

- كان لابدّ أن يموت هذا الرجل -الذي صنع التاريخ وحوَّل مجرى الطريق- شهيدًا كما مات عمر وعلي والحسين.

- كان لابد أن يموت باكرًا؛ فقد كان غريبًا عن طبيعة المجتمع.. يبدو كأنه الكلمة التي سبقت وقتها، أو لم يأت وقتها بعد[1].

(١) انظر: روبير جاكسون: حسن البنا الرجل القرآني، ترجمة: أنور الجندي، المختار الإسلامي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٩٧-١٩٧٧، ص(٥، ١٥، ١٩).

الباب الثاني

الأدبيات: الأبعاد والمنهج

الفصل الأول: الخطابة

مفهوم الأدبيات والملامح

وأدبيات الإمام الشهيد تعني العطاء الفكري والعقدي الذي قدمه للمسلمين شفاهة، أو كتابة، من خطب، ومحاضرات، ومحاورات، ومقالات، وكتب، ورسائل عامة، وخاصة.

ويصعب على مثلي استقراء كل ما كتب من مقالات، والنظر في كل ما قدمه من خطب، ولكن قد يكون المكتوب ترجمة «للمنطوق»، كما نجد في بعض رسائله، وهي خطب صيغت كتابة، كرسالة: إلى الشباب، ورسالة المؤتمر الخامس، ورسالة المؤتمر السادس، وغيرها.

ونقصد بالملامح والطوابع الفنية: السمات الأسلوبية والتصويرية، والوجدانية، وطبيعة الأداء التعبيري في هذا العطاء الغني الثرار. ومن البدهي أن من أهم هذه الملامح منهج -أو مناهج- معالجة هذه الأدبيات وعرضها.

وأهم أجناس هذه الأدبيات: الخطبة، والمقالة، والترجمة الذاتية، والرسالة، والقصة.

ونحاول في الصفحات الآتية أن نقف -في إيجاز- أمام كل جنس من هذه الأجناس، ومنهج الإمام في عرضه ومعالجته.

أولاً: الخطابة

الخطابة: هي فن مشافهة الجماهير الذي يقوم على الإقناع والاستمالة.

أو كما عرفها بعض النقاد بأنها: فن أدبي نثري، هدفه إقناع السامعين، فهو إلقائي، يكتب أو يرتجل ليسمع، لا ليقرأ[1].

وكانت الخطابة هي الآلية الأولى التي اتخذها الإمام الشهيد لدعوته، ونشرها في كل الأوساط، واستطاع الإمام الشهيد أن يجعل لهذا الفن وجودًا وكيانًا قويًا بالغ التأثير.

وسلك دعاة الإخوان السبيل نفسها في اتخاذ الخطابة أهم الآليات في نشر الدعوة، والدفاع عنها، يستوي في ذلك الخطب الجماهيرية العامة والمحاضرات الدعوية والأكاديمية، والحوار، والمناقشة، والمجادلة.

واختيار هذه الآلية إنما هو اتباع لمنهج النبي ﷺ، واستصحاب لهذا الأصل الكريم من ناحية، واعتراف بالواقع الاجتماعي والسياسي والديني بالنسبة لمصلحة الدعوة من ناحية أخرى. وهو واقع يتأثر بالكلمة المسموعة، أكثر من الكلمة المكتوبة. ولأمر ما كان فعل الأمر «قلْ» هو أكثر الأفعال ورودًا في القرآن الكريم.

كما أن الخطابة أيسر تناولاً واستخدامًا من الشعر والمقال، فهي تنطلق بلا قيود صارمة، وضوابط حادة من وزن وقافية.

وفي حقل الدعوة الإخوانية آلاف الخطباء من العلماء والطلاب والأكاديميين، وكثير منهم تمرسوا بالخطابة وتدربوا عليها من أيام أن كانوا في حقل الدعوة أشبالاً، وكذلك منخرطين في الأسر.

وعن طوابع الإمام ومنهجه في خطبه يقول واحد من تلاميذه وهو محمد لبيب البوهي[2]: إنه كان ؓ يزور شعب الإخوان جميعًا مرة واحدة على الأقل -كل عام، ويخطب فيهم، ولكن كان له خطبة موسمية تأتي في حينها من الأعياد الإسلامية كالإسراء والمعراج، وغزوة بدر، وليلة القدر، وما إلى ذلك، ويخيل إليك حين تصاحبه، وتذهب معه في المدن والقرى في المناسبة الواحدة أنك ستسمع نفس الخطبة في كل حفل، ولا بأس في ذلك.

---

(١) محمد سعيد إسبر، وبلال جنيدي: الشامل، دار العودة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٥، ص(٤٧٦)، وفي تعريف الخطبة وأجزائها وأنواعها ارجع إلى مجدي وهبة: معجم مصطلحات الأدب، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٤، ص(٢٠٥، ٣٧١، ٥٣١).

(٢) الإيمان والرجل، ص(٥١-٥٧).

ولكن حكمته وبراعته كانتا تخلعان على الموضوع الواحد في كل حفل ثوبًا جديدًا، حتى لتود أن تسمع نفس الموضوع عشرات المرات، في عشرات الجهات، فستجد مع الموضوع صورة من الإلمام المركز لخلاصة مشكلات المنطقة التي أقيم فيها الحفل، وكيف تستخلص حلولها من أمثال هذه المناسبة.

ولما كانت الأماكن تختلف، والمشكلات تختلف، فسترى وتحس ألوانًا رائعة تتوالى في فن وقدرة عجيبين على الموضوع الواحد. وفي كل مرة كان يتكلم ثلاث ساعات، أو أربعًا، دون أن تجد كلمة واحدة سبقت أختها، أو انحرفت عن الموضوع المناسب بالذات لهذه المناسبة، في هذا المكان.

وكان لا يبدأ حديثه حتى يعالج روح الحفل بتوحيد المشاعر والأحاسيس في جو من الانسجام العاطفي والتوافق الروحي.

وأحاديثه تبدأ أولاً بالتحية، والإشادة بعاطفة المحبة الخالصة بين بني الإنسان جميعًا. ويذكر الناس بأن هذا الحفل هو نوع من العبادة.. فمجالس العلم تحضرها الملائكة، وتباركها. ويفيض الإمام في هذا ويضرب الأمثال.

ومن عينيه ينبعث بريق الحب الخالص المصفى حتى للجماد، وتكاد تحس هذا الحب مجسدًا يسعى بين يديه.

ومن هذا الإشعاع الروحي العلوي الموفق يجمع إليه في خيط الحب الأبصار والأسماع، والأفئدة والقلوب، وينسى الناس أنفسهم، وينسون الوقت والمكان، ويهيمون معه في عالم الروح.

ويشعرون من ذلك بنشوة عليا هي فيض من بركات الاجتماع -كما كان يقول.

وبأسلوب سهل واضح متدفق يمضي الإمام معالجًا موضوع خطبته، وقد قسمه في ذهنه إلى عدة مواقف ومقاطع مرتبة في عبقرية وإلهام، لا يبدأ موقف إلا من حيث انتهى الآخر دون أن يشعر السامع بخطوات الانتقال.

ومن أهم ملامح خطبه:

١- تأكيد المعاني المهمة، والعودة إليها، والوقوف عندها لاستخلاص الدروس والعظات المنشودة.

٢- الربط بين الماضي والحاضر لتأصيل ما يدعو إليه.

٣- الإكثار من التشبيهات وضرب الأمثال التي ترتبط ارتباطًا عضويًا بالموضوع.

٤- الإكثار من الشواهد القرآنية والسنة النبوية وسلوك السلف الصالح.

٥- فتح باب الأمل أمام سامعيه حتى العصاة منهم. يقول محمد لبيب البوهي:

«لم يعرف عنه أنه هون من شأن سامعيه: كان أولاً يصور لهم في صورة رائعة بطولات أسلافهم وأمجادهم، ثم يؤكد لهم أنهم مثلهم، وأن لهم نفس المجد لو ساروا في نفس الطريق، ثم يذهب يكشف لهم عن معالم هذا الطريق. فتدب في النفوس قوى من العزم الحديدي.. كان ينفخ في سامعيه من روح العزة الإسلامية. ولعل هذا هو سر الهتاف القوي الموجه الذي ينبعث من الجموع يرج الفضاء في أعقاب خطبه»[1].

وما سبق يعرض صورة موضوعية فنية للإمام الشهيد في خطبه. عرضها بإيجاز واحد من تلاميذه عرفه عن كثب، بل عاشه، وعاش دعوته وعرف بقدرته القلمية في كتابة المقال، وتأليف الكتب. وكذلك في القصص والروايات، ويتمتع بقدرة فنية على العرض والتصوير.

وقد يكون من تتمة البحث أن أعرض في السطور الآتية صورة عفوية للإمام الخطيب وجنود دعوته، وهي صورة ما زالت محفورة في ذهني بعد أن مضى عليها قرابة ستين عامًا. ومن الذكريات ما يطويه الزمن، ويسدل عليه ستائر النسيان إلى غير رجعة.

ومن الذكريات ما يطوّف بالإنسان في فترات متباعدة من حياته، ولكن في صورة شبحية غائمة، لا تثير في النفس من المشاعر إلا هوامشها الطافية، ومساحاتها السطحية.

ومن الذكريات ما يتغلغل في نفس الإنسان حتى تتشربه روحه، وتغدو هذه الذكريات كأنها عضو حي من أعضائه، بل أشدها وأقواها نبضًا وحياة.

أقول هذا بعد مضيّ قرابة ستين عامًا من الزمان على واقع عظيم لذيذ.. عشته لساعات، وأنا تلميذ بالمرحلة الابتدائية، وذلك في مدينة «المنْزَلة» -بلدي ومسقط رأسي- وهي مدينة ساحلية تقع على بحيرة المنزلة، في أقصى شمال دلتا النيل، بعيدًا عن القاهرة بقرابة مائة وخمسين ميلاً.

كان ذلك في شارع (البحر المرْدوم) -أوسع شوارع «المنزلة» وأطولها، فبعد صلاة الظهر -في يوم شديد الحرارة- رأيت مسيرة من خمسمائة رجل -على الأقل- ما بين شاب في العشرين، وشيخ جاوز الخمسين.. أزياؤهم واحدة: لونها «كاكي»، والزي الواحد يتكون من «بنطلون» قصير (شورت)، وجورب طويل، وقميص وطربوش، ومنديل أخضر كبير يُلفّ على العنق، ويُرخى قرابة نصفه على منطقة التقاء العنق بالظهر على شكل مثلث، ويتدلى طرفاه على الصدر محبوسَيْن بحابس من الجلد.

---

(١) السابق، ص(٥٦).

وعرفت بعد ذلك أن هذا الزي يسمى «زيّ الجوالة»، وأن هؤلاء جميعًا -من شباب وكهول وشيوخ- اسمهم «جوالة الإخوان المسلمين»، وأنهم جميعًا من أهل «المنزلة» والقرى التي تحيط بها، وقد جمعَتْ هذه المسيرة -الموحدة الزي- فلاحين وعمالاً وأطباء ومدرسين ووعاظًا وتجارًا.

ياه!! أنا لم أشهد مثل هذه المسيرة من قبل لا في الواقع، ولا في الخيال والأحلام.. صدّقوني..

رأيتهم يسيرون على دقات طبول منتظمة، يتخللها أصوات قوية نفاذة من «النفير» أو «البروجي»، وكان النافخون في هذه «الآلة النحاسية» لا يقلون عن أربعين جوالاً موزعين على ثلاث مجموعات: في المقدمة والوسط والمؤخرة. ومن عجب أن النافخين كانوا ينفخون كل مرة قرابة خمس دقائق دون نشاز، ودون أن يسبق نافخ زميله، أو يتأخر عنه للحظة واحدة على تباعد أماكنهم.

ثم يصدر الأمر من قائد المسيرة الأستاذ محمد قاسم صقر -رحمه الله- بالتوقف ليهتف كل مَنْ في المسيرة -وراء حامل المصحف الكبير: «الله أكبر ولله الحمد».. «الله غايتنا، والقرآن دستورنا، والرسول زعيمنا، والجهاد سبيلنا، والموت في سبيل الله أسمى أمانينا».

وفي نهاية الشارع الطويل تطول وقفة المسيرة -بأمر القائد- لعشرة دقائق ليكون بعد الهتاف السابق نشيد ما زلت أذكر مطلعه، وكلماته:

هُوَ الحقُّ يحشدُ أجْنادَهُ ... ويعتدُّ للموقفِ الفاصلِ
فَصُفّوا الكتائبَ آسادَهُ ... ودُكّوا بهِ دولةَ الباطلِ

سبحان الله!!.. ما شاء الله!! من عَلَّم هؤلاء -الذين أراهم لأول مرة- كلَّ هذه الآداب.. الطاعةَ والنظامَ.. والإنشادَ والانضباط، وكلهم على قدم المساواة استجابة وتنفيذًا، مع اختلاف ثقافاتهم، وأنماطهم الفكرية، ومراكزهم الاجتماعية، بل إن كثيرين منهم أميون لا يعرفون القراءة والكتابة؟!!

وأراني أربط ربطًا قويًا بين هذه الخاطرة، وبين حقيقة تاريخية قرأتُها بعد ذلك بسنوات، وخلاصتها أن «رستم» -قائد جيوش الفرس- كان إذا سمع تكبير المسلمين للصلاة -في خط المواجهة الفارسي- بكى، واستبدّ به الحزن، وصرخ: «أَكَلَ عمرُ بنُ الخطاب كبدي» -أي: قتلني عمر- فيسأله من بحضرته: «كيفَ أكلَ كبدَك وأنت حيّ بيننا»؟!! فيجيب: «لأنه يُعلِّم هؤلاء الأعرَاب الآداب».

وأعود لخاطرتي، وأقول: بمثلِ هذه «الآداب» استطاعَ أصحاب هذه «المسيرة الإسلامية» أن يأكلوا أكبادَ اليهود في فلسطين أواخر الأربعينيات، ويأكلوا أكباد الإنجليز في خط قناة السويس أوائل الخمسينيات.

وأعود إلى «المسيرة الإخوانية» في مدينتي -المنزلة- وأراني -أنا ابن العاشرة- أكاد أطيرُ من الفرح.. إنهم يسيرون، وخطواتي الضيقة لا تتمكن من مسايرة خطواتهم الواسعة إلا بشيء من الجرْي بين الفينة والفينة، وكأنني أخشى أن يتخطوا مجال رؤيتي، فيقفز قلبي من بين جنبيَّ.. ويواصل المسيرة المنتظمة معهم، ويحثني أن أغذّ السير، حتى أدركه، ويسكن صدري من جديد، ومع فرحي الغامر كان شيء من الحزن يخامرني مخافة أن ينتهي العرض الحلو الجليل.

ياه.. ليته يستمر ساعات.. بل أيامًا متواصلة. إن تيار الشعور المتدفق في نفسي لم يستطع، ولن تستطيع اللغة أن تعبر عنه بكماله، إنها حقيقة أؤكدها بصدق وأمانة، وأستحضرها، وأنا أقرأ فيما بعد قول أبي تمام في حديثه عن فتح عمورية على يد المعتصم:

فتحُ الفتوح تعالَى أن يُحيطَ به ... نظمٌ من الشعرِ أو نثْر منَ الخُطَبِ

فمن المواقف والمشاعر ما يكون له من الأبعاد والدلالات والإشعاعات والظلال ما تعجز اللغة -أية لغة- عن الإحاطة بكل أقطاره.

ولكن ما شأن هذا «العرض» أو هذه المسيرة؟ ولماذا خَرَجَتْ ظهر هذا اليوم بالذات؟

وأسأل «عم مسعد» الخضراتي صديق والدي، فيأتيني جوابه:

-دُول رِجّالة الشيخ حسن البنا.. لأنه سيحضر الليلة، ويخطب في الصوان (السرادق) الكِبير.. راجل فصيح قوي.. سمعته مرة في بورسعيد.. و... و...

- حسن البنا؟!.. حسن البنا؟! إنه اسم لم أسمع به من قبل.

وبعد صلاة العشاء كنت أنا ووالدي نأخذ مكانينا في السرادق الكبير، أما «جوالة» الظهيرة فقد انتشروا داخل السرادق وخارجه لإقرار النظام. وبعد نصف ساعة ارتج المكان بالهتاف: «الله أكبر ولله الحمد».. وشعرت بأنني كبير جدًا وأنا أردد مع هؤلاء الناس بصوتي «النحيف».. «الله أكبر ولله الحمد».. لقد حضر المرشد.. رأيته وعلى فمه ابتسامة عريضة، وهو يشق طريقه إلى المنصة بين صفين من الجوالة على هيئة «كردون» وهم متشابكو الأيدي، واستطاعوا بصعوبة بالغة أن يمنعوا «بظهورهم» تدفق الجمهور

المتدافع من الجانبين لمصافحة المرشد العظيم.

وعلى مدى ثلاث ساعات كان الناس يستمعون إليه كأن على رءوسهم الطير، لقد سمعته يقدم لونًا جديدًا من الكلام.. كلامًا يختلف تمامًا عما نسمعه في خطب الجمعة، واحتفالات المولد النبوي.

ومن المشهور عن بلدي «المنزلة» أنها بلد الصيد والسفن والتجارة (نقل الركاب والبضائع بالسفن الشراعية في بحيرة المنزلة)، ومن هذا الواقع البيئي -الذي لا يجهله واحد من الحاضرين صغارهم وكبارهم- انطلق حسن البنا في حديثه فشبه الأمة بسفينة: جسمها الشعب وشراعها الإيمان ودفتها الحكومة، وقد تعوزني الدقة في هذا التجْزيء التشبيهي، ولكن الذي أذكره -وقد مضى أكثر من ستين عامًا على ما سمعت- أن السفينة كانت مشبَّهًا به، وأنه -رحمه الله- دخل نفوس الناس من الدقائق الأولى، وهو يشرح مقولته مكثرًا من الاستشهاد بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، ووقائع من السيرة النبوية وحياة السلف الصالح[1].

كنت -على صغر سني- أفهم، بل أعيش كل كلمة يقولها الرجل العظيم، ولكن الأهم من ذلك هو إحساسي القوي -وأنا أجلس بجانب والدي في الحفل- أن الإمام يوجه كلماته ونظراته إليّ دون غيري، وأخفيت هذا الخاطر عن والدي، وفي اليوم التالي سمعت والدي يقول لواحد من جيراننا الذين حضروا الحفل -وكان يجلس أقرب إلى المنصة منا: لقد شدني الشيخ حسن -الله يكرمه- بخطبته مساء أمس، كنت أشعر أنه يخصني بنظراته وكلامه الجميل.

وقال جارنا: عجيبة!!! والله كنت أشعر نفس الشعور.

فآمنت بعدها بأن الرجل -رحمه الله- قد بلغ مقامًا مما يمكن أن نسميه «البلاغة الإيمانية»، لا يرقى إلى مثله إلا أقل الأقلين على مدار التاريخ الإنساني كله.

---

(١) وعن هذا الملمح كتب «جاكسون» عن الإمام الشهيد: «كان قديرا على أن يحدث كُلاً بلغته وفي ميدانه وعلى طريقته، وفي حدود هواه، وعلى الوتر الذي يحسن به، وعلى الجرح الذي يثيره. ويعرف لغات الأزهريين والأطباء والمهندسين والصوفية وأهل السنة، ويعرف لهجات الأقاليم في الدلتا وفي الصحراء وفي مصر الوسطى والعليا وتقاليدها، بل إنه يعرف لهجات الجزارين والفتوات، وأهالي بعض أحياء القاهرة الذين تتمثل فيهم صفات بعينة بارزة.. وهو يستمر موضوع حديثه -أثناء سياحاته في الأقاليم وفي كل بلد من مشاكلها ووقائعها وخلافاتها، ويربطه -في لباقة- مع دعوته ومعالمها الكبرى، فيجيء كلامه عجبا يأخذ بالألباب. كأن يقول للفلاحين في الريف: عندنا زرعتان.. إحداهما سريعة النماء كالقثاء، والأخرى طويلة كالقطن..» [حسن البنا الرجل القرآني، ص(٢٠-٢١)].

ولعل مصدر هذه السمة ما سجله الأستاذ البوهي وعرضناه، ونكرر بعضه في السطور الآتية: «كان الإمام لا يبدأ حديثه حتى يعالج روح الحفل بتوحيد المشاعر والأحاسيس في جو من الانسجام العاطفي والتوافق الروحي... ومن عينيه ينبعث بريق الحب الخالص المصفى حتى للجماد. وتكاد تحس هذا الحب مجسدًا يسعى بين يديه.

ومن هذا الإشعاع الروحي العلوي الموفق يجمع إليه في خيط الحب الأبصار والأسماع، والأفئدة والقلوب، وينسى الناس أنفسهم، وينسون الوقت والمكان، ويهيمون معه في عالم الروح، ويشعرون من ذلك بنشوة عليا، هي من بركات الاجتماع، كما كان يقول... »[1].

(١) الإيمان والرجل، ص(٥٢).

الفصل الثاني: الترجمة

يقصد بالترجمة -في إيجاز شديد- عرض حياة الشخصية، مع ملاحظة تنوع مناهج هذا العرض، وهي نوعان:

(١) الترجمة الذاتية أو الشخصية AUTOBIOGRAPHX

وهي التي تتناول حياة الكاتب نفسه بقلمه، ويكشف بها عن ملامحه، وسيرورة هذه الحياة. ويذهب بعض النقاد المحدثين إلى أن الترجمة الذاتية الفنية ليست هي التي يكتبها صاحبها على شكل «مذكرات» يعنى فيها بتصوير الأحداث التاريخية أكثر من عنايته بتصوير واقعه الذاتي.

وليست هي التي تكتب على صورة «ذكريات» يعنى فيها صاحبها بتصوير البيئة والمجتمع والمشاهدات أكثر من عنايته بتصوير ذاته.

وليست هي المكتوبة على شكل «يوميات» تبدو فيها الأحداث على نحو غير رتيب. وليست في آخر الأمر «اعترافات» يخرج فيها صاحبها على نهج الاعتراف الصحيح. وليست هي «الرواية الفنية» التي تعتمد في أحداثها ومواقفها على الحياة الخاصة لكاتبها.

فكل هذه الأشكال فيها ملامح الترجمة الذاتية، وليست هي؛ لأنها تفتقر إلى كثير من الأسس التي تعتمد عليها الترجمة الذاتية الفنية[١].

ولكن هذا الرأي -أو هذا التنظير- لا يخلو من التشدد، بل من الإجحاف والاعتساف، فمن حق كاتب الترجمة الذاتية أن يتخذ لها الشكل أو القالب الذي يراه ملائمًا، فيكتب ترجمته في شكل حكائي، أو في شكل مذكرات أو اعترافات.

- والناقد نفسه (الدكتور يحيى إبراهيم) قد اعتبر «اعترافات القديس أوغسطين» أشهر التراجم الذاتية في العصور الوسطى، وهي تمثل في رأيه قمة الاعترافات، وقد حذا حذوها من كتب بعده..[٢]

- واهتمام كاتب الترجمة الذاتية بالأحداث العامة، وتيارات البيئة لا يضعف من بناء الترجمة الذاتية.. فهذا الاهتمام يمثل بصدق مدى إحساس الكاتب بالجو الذي يعيش فيه، واستجابته له، أو تمرده عليه، أي: يمثل موقفه من عصره بيئة وزمنًا.

---

(١) د. يحيى إبراهيم: الترجمة الذاتية في الأدب العربي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧٥، ص(٣).

(٢) السابق، ص(١٣).

ومن يستطيع أن ينكر تلك الترجمة الذاتية التي سجلها أسامة بن منقذ في كتابه «الاعتبار»، وهي مذكرات بديعة تصور لنا الفروسية العربية زمن الصليبيين، كما يصور حياة المسلمين لعصره، وحياة الصليبيين أنفسهم، وهو تصوير أمين دقيق[1].

ويتحدث أسامة عن أعدائه وأعداء المسلمين بروح الإنصاف والعدل، فيذكر ما لهم وما عليهم..[2]

- «واعترافات جان جاك روسو» تعتبر من أشهر التراجم الذاتية، مع أن حظ البيئة والمجتمع ورجال الدين والكنيسة حظ وافر في كل صفحات هذه الاعترافات.

- وفكرة «الواقع الذاتي» التي ألمح إليها الكاتب بهذا التحديد الانعزالي الحاد لا وجود لها إلا في الخيال: فالكاتب لا يمكن أن يصور ملامحه الذاتية، وخصائصه النفسية والعقلية والخلقية وقيمه التي يؤمن بها إلا في ظل البيئة التي يمثل هو نقطة سابحة في سمائها، أو نبتة ناجمة في أرضها، وخصوصًا إذا كانت أحداث عصره من الوقائع المتوهجة الكبيرة التي غيرت مجرى التاريخ أو تركت بصماتها غائرة على صفحته.

- وليس المهم في الترجمة الذاتية أي الجانبين أغلب: تصوير الذات أم تصوير الأحداث والتيارات الاجتماعية وما شابهها، بل المهم أن يحدد الكاتب مكانه في زحمة هذه الأحداث، وتلك التيارات، ومدى تفاعله معها إقبالاً واستجابة وانسجامًا، أو معارضة وتمردًا، بحيث تكون شخصيته هي نقطة الارتكاز، ثم لا يقاس حظ كاتب الترجمة وحظ البيئة قياسًا كميًا، بل ليُبحث في الترجمة عن الأبعاد والأعماق، ومدى إحساس الكاتب وصدقه فيما كتب.

(٢) الترجمة الغيرية BIOGRAPHY

وإذا كانت الترجمة الذاتية تمثل تاريخ كاتبها، فإن الترجمة الغيرية تصوير لتاريخ الآخرين، وقد عرفها بعض الكتاب -في صورتها المثلى- بأنها «البحث عن الحقيقة في حياة إنسان فذ، والكشف عن مواهبه، وأسرار عبقريته من ظروف حياته التي عاشها، والأحداث التي واجهها في محيطه، والأثر الذي خلفه في جيله»[3].

والتعريف السابق قد يمثل المناهج الحديثة في كتابة التراجم الغيرية، أو بعضها على الأقل، ولكنه لا يتسع للمنهج التقليدي القديم في كتابة الترجمة الغيرية، وأعني به «المنهج

---

(١) د. شوقي ضيف: الترجمة الشخصية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٦، ص(٩٤).

(٢) انظر ليوسف الشاروني مقالاً بعنوان: كتاب الاعتبار أول كتاب يؤرخ فيه عربي لنفسه، مجلة العربي الكويتية، مارس، ١٩٦٠.

(٣) د. حسين فوزي النجار: التاريخ والسير، دار القلم، القاهرة، ١٩٦٤، ص(١٤).

السردي»، وهو ذلك المنهج الذي يعتمد على مجرد رصد الحقائق والأخبار عن المترجم له، دون البحث في الدلالات النفسية والعقلية، والخلقية، والاجتماعية لها.

فالمترجم هنا بمقام الجامع الراصد دون تدخل منه في الغالب[1].

والذي يهمنا في دراستنا هذه النوع الأول من التراجم، أي: الترجمة الذاتية؛ لأن كتاب الإمام الشهيد «مذكرات الدعوة والداعية» ينتسب في رأينا إلى هذا النوع بالمقاييس التي ذكرناها آنفًا.

وفي الصفحات الآتية نعرض في إيجاز طبيعة التوجه الموضوعي وملامح المنهج في هذا الكتاب:

«مذكرات الدعوة والداعية»

كتب أبو الحسن الندوي في تقديمه لهذا الكتاب «.. ألفيته كتابًا أساسيًّا، ومفتاحًا رئيسيًّا لفهم دعوة الإمام الشهيد وشخصيته، وفيه يجد القارئ منابع قوته، ومصادر عظمته، وأسباب نجاحه واستحوازه على النفوس، وهي: سلامة الفطرة، وصفاء النفس، وإشراق الروح، والغيرة على الدين، والتحرك للإسلام، والتوجع من استشراء الفساد، والاتصال الوثيق بالله تعالى، والحرص على العبادة، وشحن «بطارية القلب» بالذكر والدعاء والاستغفار، والخلوة في الأسحار، والاتصال المباشر بالشعب وعامة الناس في مواضع اجتماعهم ومراكز شغلهم وهوايتهم، والتدرج، ومراعاة الحكمة في الدعوة والتربية، والنشاط الدائم، والعمل الدائب. وهذه الخلال كلها هي أركان دعوة إسلامية ربانية، وحركة دينية تهدف إلى أن تحدث في المجتمع ثورة إصلاحية بناءة، وتغير مجرى الحوادث والتاريخ.. »[2].

وفي هذا الجزء من التقديم صورة نفسية مركزة للإمام الشهيد، والصلة الوثيقة بين شخصية الداعي وطبيعة الدعوة الإسلامية.

ومن عجب أن نرى الإمام الشهيد في صدر تقديمه يوصي الذين يعرضون للعمل العام، ويرون أنفسهم عرضة للاحتكاك بالحكومات ألا يحرصوا على الكتابة.

وهو يطرح هذا التوجيه بعد أن عثرت النيابة على مذكراته الخاصة سنة ١٩٤٣، وقد لقي من المحقق عنتًا وإرهاقًا في غير جدوى ولا طائل ولا موجب إلا تحميل الألفاظ غير

---

(١) في أهم الفروق بين نوعي الترجمة ارجع إلى كتاب د. إحسان عباس: فن السيرة، دار الثقافة، بيروت، الطبعة الثانية، ص(١١٠).

(٢) مذكرات الدعوة والداعية، ص(١٠).

ما تحمل، واستنباط النتائج التي لا تؤدي إليها المقدمات بحجة أن هذه هي مهمة النيابة العمومية باعتبارها سلطة اتهام[1].

وقد ضاعت معظم هذه المذكرات المكتوبة، فأعاد كتابة مذكراته التي بين أيدينا اعتمادًا على الذاكرة، وقد رأينا أنه كان يتمتع بقوة في الحفظ نادرة الشبيه.

وفي هذه الترجمة الذاتية تتعدد المحاور والتلاحم بين العناصر الموضوعية الآتية:

١- التصوير الذاتي، وعرض مشاعره ورؤيته الخاصة للوقائع والأحداث والشخصيات.

٢- مسيرة الدعوة من بدايتها في الإسماعيلية والانتقال إلى القاهرة، ونشرها في عدد كبير من المدن والقرى المصرية، وجهود رجالها، وما تعرضوا له من مؤامرات ومحن.

٣- موقف الإخوان من الأحداث، ومن قضية فلسطين وقضايا العالم الإسلامي.

٤- عرض نظام الجماعة، ومجالسها، ولوائحها، ووجوه نشاطها الدعوي، والثقافي، والتربوي.

وفي كل المواقف والأحداث والوقائع يرى القارئ للإمام الشهيد حضورًا قويًّا، ومعايشة صادقة، يستوي في ذلك ما كبر منها وما صغر.

وفي ما يزيد على ثلاثمائة صفحة يعرض الإمام الشهيد الأحداث بطريقة عفوية مرسلة، ابتداء من التحاقه بمدرسة الرشاد الدينية، وقد استغرقت هذه الفترة من عمره من الثامنة إلى الثانية عشرة، وبعدها التحاقه بالمدرسة الإعدادية، ثم مدرسة المعلمين الأولية بدمنهور، واندماجه في الطريقة الحصافية، واشتراكه في الحركة الوطنية سنة ١٩١٩.

ثم التحاقه بدار العلوم، وتخرجه فيها سنة ١٩٢٧، وتعيينه مدرسًا في الإسماعيلية، وتكوينه أول شعبة للإخوان من ستة أشخاص.

وبعدها اتسعت جهود الإمام الشهيد، وبارك الله قدرته في نشر الدعوة في الإسماعيلية، وخارجها مثل : أبو صير، وبورسعيد، ومدن البحر الصغير.

وبعد مجهودات صادقة في نشر الدعوة انتقل الإمام إلى القاهرة لتبدأ مرحلة جديدة من مراحل الدعوة قبل الحرب العالمية الثانية.

وفي تفصيل مطرد يعرض الإمام أنواع نشاط الإخوان في هذه الفترة التي استغرقت سبع سنين، وانتظم الأنواع الآتية:

---

(١) انظر: السابق، ص(١٣).

١- المحاضرات والدروس في الدور والمساجد، وتأسيس درس الثلاثاء.

٢- إصدار رسالة المرشد العام (عددين فقط)، ثم مجلة الإخوان المسلمين الأسبوعية أولاً وثانيًا، وفي أثناء ذلك مجلة النذير لسنتين من أول عهدها.

٣- إصدار عدد من الرسائل والنشرات.

٤- إنشاء الشعب في القاهرة، وزيادة شعب الأقاليم، ونشر الشعب في الخارج.

٥- تنظيم التشكيلات الكشفية والرياضية.

٦- تركيز الدعوة في الجامعة والمدارس، وإنشاء قسم الطلاب، والانتفاع بجهود الأزهر الشريف: علمائه وطلابه.

٧- إقامة عدة مؤتمرات دورية للإخوان في القاهرة والأقاليم.

٨- المساهمة في إحياء الاحتفالات الإسلامية، والذكريات المجيدة في القاهرة والأقاليم كذلك.

٩- المساهمة في مناصرة القضايا الإسلامية الوطنية، وبخاصة قضية فلسطين.

١٠- تناول الناحية الإصلاحية السياسية والاجتماعية بالبيان والإيضاح والتوجيه، وكتابة المذكرات والمقالات والرسائل بهذا الخصوص.

١١- المساهمة في الحركات الإسلامية، كحركة مقاومة التبشير، وحركة تشجيع التعليم الديني.

١٢- مهاجمة الحكومات المقصرة إسلاميًّا، ومهاجمة الحزبية والدعوة -في وضوح- إلى المنهاج الإسلامي، وتأليف اللجان لدراسات فنية في هذه النواحي[١].

وقد أخذ الإخوان أنفسهم عمليًا بهذا التخطيط، وخصوصًا ما عرضه الإمام من جهود الإخوان في منطقتي المنزلة وبورسعيد في مقاومة التبشير[٢].

وعرض الإمام نص العريضة التي رفعها مجلس الشورى العام للإخوان إلى الملك فؤاد لحماية الشعب من عدوان المبشرين الصارخ على عقائده وأبنائه، وفلذات كبده، بتكفيرهم وتشريدهم، وإخفائهم، وتزويجهم من غير أبناء دينهم...[٣]. ويعرض الإمام النظام الإداري للجماعة، ونشاط الإخوان في الجامعة والمدارس العليا، ونماذج من مؤتمرات

---

(١) السابق، ص(١٨٠-١٨١).

(٢) انظر: السابق، ص(١٩٦-٢٠١).

(٣) انظر نص العريضة في المذكرات، ص(٢٠٣-٢٠٤)، وهي مرفوعة من مجلس الشورى المجتمع بمدينة الإسماعيلية بتاريخ ٢٢ من صفر ١٣٥٢هـ. والمجلس يمثل خمسة عشر فرعًا من فروع جمعية الإخوان المسلمين.

الإخوان في الأقاليم، ونموذجًا من اجتماعات الجمعية العمومية للإخوان في الأقاليم، وقرارات مكتب الإرشاد ونظامه، وموقف الإخوان من الآخرين.

وعرض الإمام لجهود الإخوان لنشر الدعوة في الأقطار الشقيقة، وزيارة مجموعة من الإخوان إلى دمشق وبيروت.

ولأول مرة نقرأ في المذكرات تاريخًا يوميًا (يوميات) لزيارة الإمام للصعيد سنة ١٣٥٤[١].

وصور الإمام موقف الإخوان من قضية فلسطين، وكثيرًا من لوائح وتنظيمات الإخوان المالية والإدارية، ومظاهر النشاط الأسبوعي والرحلات، ومعسكرات الصيف.

وعرض نص المذكرة الطويلة التي رفعها إلى رئيس الحكومة علي ماهر باشا في شعبان ١٣٥٨- أكتوبر ١٩٣٩ (أي: بعد قيام الحرب العالمية الثانية بأيام) شارحًا رأي الإخوان في موقف مصر الدولي، ورأيهم في الإصلاح الداخلي[٢].

وقد رأينا أن الإمام الشهيد -وهو مرشد جماعة، وحامل رسالة- يعطي اهتمامًا كبيرًا للوقائع والأمور العامة، ومسيرة الجماعة ونظامها، ومواقفها من الحكام والقضايا، وهو خط يمثل محورًا أو جزءًا من المنهج.

ولكن هذا الاهتمام لم يكن على حساب عرض الوقائع الخاصة، والرؤى الذاتية، ومن هذه الوقائع واقعة الرؤيا الصالحة التي رآها ليلة امتحان النحو والصرف[٣].

وحادثة زميله في الدراسة والسكن، وقد كان يحقد عليه تفوقه في الدراسة، مما دفعه إلى أن يصب على وجهه وعنقه وهو نائم زجاجة من صبغة اليود المركزة، ولكن الله مكنه من التغلب على الأخطار بغسل الوجه[٤].

ويتحدث عن صداقته لأحمد السكري، وفتحه دكانًا لتصليح الساعات في مدينة المحمودية في العطلة الصيفية، والهدف الأساسي من ذلك هو قضاء العطلة مع صديقه الحميم أحمد السكري.

وأثناء ذلك كان -كما قال- يجد سعادتين في هذه الحياة: سعادة الاعتماد على النفس، والكسب من عمل اليد، وسعادة الاجتماع بالأخ أحمد أفندي (السكري)، وقضاء

---

(١) المذكرات، ص(٢٧٥).

(٢) انظر: السابق، ص(٣٥٠-٣٥٨).

(٣) السابق، ص(٥١).

(٤) السابق، ص(٥٥-٥٦).

الوقت معه، ومع (الطريقة) الحصافية، وقضاء ليالي هذه الإجازة معهم يذكرون الله، ويتذاكرون العلم في المسجد تارة، وفي المنازل تارة، وفي الخلوات بظاهر البلد تارة أخرى[1].

ويقدم صورة طريفة للمنزل الذي استأجر دوره العلوي وبعض زملائه في الإسماعيلية، واستؤجر دوره الأوسط مجتمعًا لمجموعة من المسيحيين، اتخذوا منه ناديًا وكنيسة، ودوره الأسفل مجتمعًا لمجموعة من اليهود، اتخذوا منه ناديًا وكنيسة، وكان مع زملائه يقيمون الصلاة، ويتخذون هذا المسكن مصلى، فكأنما كان هذا المنزل يمثل الأديان الثلاثة[2].

وفي تضاعيف المذكرات نلتقي كثيرًا من آراء الإمام الشهيد ونظراته الخاصة البناءة في شتى الأوضاع والمجالات، مثال ذلك ما كتبه عن آليات نهضة الأمة ومرتكزاتها، وأهمها «التربية»، فتربّى الأمة أولاً، وتفهم حقوقها تمامًا، وتتعلم الوسائل التي تنال بها هذه الحقوق، وتربى على الإيمان بها، ويبث في نفسها هذا الإيمان بقوة.. أي تدرس منهاج نهضتها درسًا نظريًا وعمليًا وروحيًا[3].

كما يرى أنه لا نهوض لأمة بغير خلق، فإذا استطاعت الأمة أن تتشبع بروح الجهاد والتضحية، وكبح جماح النفوس والشهوات أمكنها أن تنجح، بمعنى أن الأمة إذا استطاعت أن تتحرر من قيود المطالب النفسية، والكمالات الحيوية أمكنها أن تتحرر من كل شيء، فليكن حجر الزاوية إصلاح خلق الأمة[4].

وهو إذا عرض الذاتي الخاص فلينطلق منه إلى العام لاستخلاص ما ينفع ويفيد في مجال الدعوة والمجتمع، مع إخضاع الرؤية الخاصة للتجريب العملي، ومن أشهر الوقائع في هذا المقام ما عرضه على إخوانه من الدعوة في المقاهي، وعارضه إخوانه بمقولة: إن أصحاب القهاوي لا يسمحون بذلك، ويعارضون فيه؛ لأنه يعطل أشغالهم، وإن جمهور الجالسين على هذه المقاهي قوم منصرفون إلى ما هم فيه. وليس أثقل عليهم من الوعظ، فكيف نتحدث في الدين والأخلاق لقوم لا يفكرون إلا في هذا اللهو الذي انصرفوا إليه؟

---

(١) السابق، ص(٥٧-٥٨).

(٢) السابق، ص(٩٢-٩٣).

(٣) السابق، ص(١٨١).

(٤) السابق، ص(١٨٣)، وانظر في المذكرات، ص(٤٤-٤٥) رأيه في العلم والشهادات متأثرًا بالغزالي. وما عاناه في ترجيح وجهة على أخرى من صراع نفسي شديد.

يقول الإمام: وكنت أخالفهم في هذه النظرة، وأعتقد أن هذا الجمهور أكثر استعدادًا لسماع العظات من أي جمهور آخر حتى جمهور المسجد نفسه؛ لأن هذا شيء طريف وجديد عليه، والعبرة بحسن اختيار الموضوع، فلا نتعرض لما يجرح شعورهم، وبطريقة العرض فنعرض بأسلوب شائق جذاب، وبالوقت فلا نطيل عليهم القول.

ولما طال بنا الجدل حول هذا الموضوع قلت لهم: ولم لا تكون التجربة هي الحد الفاصل في الأمر؟ فقبلوا ذلك، وخرجنا، فبدأنا بالقهاوي الواقعة بميدان صلاح الدين، وأولها السيدة عائشة، ومنها إلى القهاوي المنتشرة في أحياء طولون إلى أن وصلنا من طريق الجبل إلى شارع سلامة والسيدة زينب، وأظنني ألقيت في هذه الليلة أكثر من عشرين خطبة تستغرق الواحدة منها ما بين خمس دقائق إلى عشر.

ولقد كان شعور السامعين عجيبًا، وكانوا ينصتون في إصغاء، ويستمعون في شوق، وكان أصحاب المقاهي ينظرون بغرابة أول القول، ثم يطلبون المزيد بعد ذلك. وكان هؤلاء يقْسمون -بعد الخطبة- أننا لابد أن نشرب شيئًا، أو نطلب طلبات، فكنا نعتذر لهم بضيق الوقت، وبأننا نذرنا هذا الوقت لله، فلا نريد أن نضيعه في شيء.

وكان هذا المعنى يؤثر في أنفسهم كثيرًا، ولا عجب فإن الله لم يرسل نبيًّا، ولا رسولاً إلا كان شعاره الأول ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ﴾ [الأنعام:٩٠] لما لهذه الناحية العفيفة من أثر جميل في نفوس المدعوين[١].

ونقرأ في المذكرات ما ينم على قدرة فائقة على تعمق الشخصيات وفهم أبعادها ومناحيها، وأثرها في نفسه وتوجهه، ومن ذلك ما كتبه عن أحمد الشرقاوي الهوريني الذي لم يره إلا مرة واحدة. وعن الشيخ صاوي دراز، رحمهما الله[٢].

وأسلوب الإمام هو الأسلوب العفوي المرسل المباشر، فتقديم الفكرة هو شاغله الأول، ولكن المذكرات لا تخلو من قطع تتسم بالتوهج العاطفي والجمال الفني، ونكتفي هنا بسطور مما كتبه الإمام الشهيد عن إخوان البلاح. «... لقد أدركوا قيمة أنفسهم، وعرفوا سمو وظيفتهم في الحياة، وقدروا فضل إنسانيتهم، فنزع من قلوبهم الخوف والذل والضعف والوهن، واعتزوا بالإيمان بالله. فلم تأسرهم المطامع التافهة، ولم تقيدهم الشهوات الحقيرة، وصار أحدهم يقف أمام رئيسه عالي الرأس في أدب، شامخ الأنف في وقار.. »[٣].

---

(١) السابق، ص(٦٢).٣

(٢) السابق، ص(٤٦-٤٧)، وانظر كذلك موقفه وتحليله لرأى «رينان» في الإسلام والإخوان، ص(٢٢٧-٢٣٢).

(٣) السابق، ص(١٣٨-١٣٩). وانظر كذلك حديثه عن الإسماعيلية، ص(٧٩).

وأخيرًا نشير إلى أن الاستطراد[1] يكثر في المذكرات، وقد يرجع ذلك إلى أن الإمام البنا اعتمد -بصفة أساسية- على ما ذكرته في استعادة الأحداث والوقائع وتسجيلها. ومن ذلك عودته إلى حديثه عن الدعوة في البحر الصغير ص(١٤٤)، بعد أن تحدث عنها حديثًا وافيًا ص(١٣٢).

والخلاصة أن هذه المذكرات يصدق عليها وصف «الترجمة الذاتية». وقد رأينا أنها تمثل معرضًا لكثير من جوانب حياة الإمام الشهيد، ومبادئ الدعوة. وملامحها ومسيرتها، وجهود دعاة الإخوان، مما يجعل منها مصدرًا أساسيًّا للدعوة والداعية.

---

(١) الاستطراد من المحسنات المعنوية في علم البديع، وذلك أن يكون الأديب في غرض، ثم ينتقل منه إلى غرض آخر يناسبه، ثم يرجع إلى الأول أو يسكت على المستطرد إليه. [الشامل، ص(٨٩)].

الفصل الثالث: الرسائل

والرسائل تعد من أهم أدبيات الإمام الشهيد وأشهرها، وهي في مجموعها تلقي إضاءات قوية على فكر الإمام، وتوجهه الدعوي، وطبيعة مواقفه تجاه واقعنا الاجتماعي والسياسي. ونقف فيما يأتي أمام هذا النوع من أدبيات الإمام. بادئين بالتعرف على «مفهوم الرسالة لغة وفنًا».

جاء في لسان العرب: الإرسال: التوجيه، وقد أرسل إليه، والاسم: الرسالة والرسول والرسل... والرسول بمعنى الرسالة يؤنث ويذكر، والرسول: الرسالة والمرسّل. وسمي الرسول رسولاً؛ لأنه ذو رسول، أي: ذو رسالة.

وجاء في المصباح المنير: تراسل القوم: أرسل بعضُهم لبعض رسولاً أو رسالة، وجمعها رسائل.

وجاء في أساس البلاغة: راسله في كذا، وبينهما مكاتبات ومراسلات، وتراسلوا، وأرسلْتُه برسالة وبرسول، وأرسلتُ إليه أن افعل كذا، وأرسل الله في الأمم رسلاً...

وجاء في مختار الصحاح: راسله مراسلة فهو مرسِل ورسيل، وأرسله في رسالة فهو مُرسَل ورسول. والجمع رسْل ورُسُل. والرسول أيضًا الرسالة، وقوله تعالى: ﴿رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٦]. ولم يقل: «رسولا رب العالمين»؛ لأن صيغتي «فعول وفعيل» يستوي فيهما المذكر والمؤنث والواحد والجمع مثل «عدو» و«صديق». ورسيل الرجل الذي يراسله في نضال أو غيره.

ومن كلمات المعاجم العربية يمكن أن نستخلص مفهومًا مركزًا للرسالة، وهو أنها تمثل موضوعًا معينًا يبلغه شخص ما إلى آخر أو آخرين بنفسه أو برسول، وقد تكون الرسالة مكتوبة، وقد تكون شفاهة كما نرى في قول زهير بن أبي سلمى[(١)]:

ألا أبلغْ الأحلاف عنّي رسالةً ... وذبيانَ هلْ أقسمتُمُ كلَّ مُقْسَمِ

وكذلك قول كعب بن زهير بن أبي سلمى مخاطبًا أخاه بُجيرا[(٢)]

ألا أبلِغَا عني بُجيْرًا رسالةً ... على أيِّ شيءٍ -وَيْبَ غيرِك- دَلَّكا؟

---

(١) الخطيب التبريزي: شرح القصائد العشر، المطبعة المنيرية، القاهرة، ١٣٦٩، ص(١١٨).

(٢) انظر: الأصفهاني: الأغاني، تحقيق: إبراهيم الإبياري، دار الشعب، القاهرة، د.ت، (١٨/ ٦٣٦٤).

وقد يطلق على «الرسالة» تسميات أخرى مثل: الخطاب، والكتاب، والعهد، والصحيفة، والوصية، وإن لم تخلُ من ملامح فارقة بينها[1].

وقد تتعدد تعريفات الرسالة في كتب الأدب بمفهومها الأوليّ المباشر، كما نرى في التعريفين الآتيين:

- الرسالة: هي الخطاب المكتوب في غرض جزئي، يبعث به صاحبه إلى آخر[2].
- الخطاب أو الرسالة: نص مكتوب ينقل من مُرسِل إلى مُرْسَل إليه، يتضمن عادة أنباء لا تخص سواهما[3].

وواضح أن الخلاف بين التعريفين خلاف لفظي، كما أنه قريب جدًّا مما استخلصناه من المعاجم العربية. ونرى الخلاف لفظيًّا كذلك في تعريف النقاد للرسالة بأنواعها الثلاثة وهي:

١-الرسالة الإخوانية　　٢-الرسالة الديوانية　　٣-الرسالة الأدبية

١- **فالرسالة الإخوانية أو الشخصية أو الخاصة:** هي تلك التي تعبر عن مشاعر المرسِل في تعزية أو تهنئة أو توصية أو عتاب أو شوق أو تحذير ووعيد ونحو ذلك، مما يصور العواطف والصلات الخاصة بين الأفراد. وهي غالبًا لا تكون إلا بين من تربط بينهم صلة دموية كالآباء والأبناء والإخوة، أو صلة إنسانية كالصداقة والزمالة والصحبة.

٢- **الرسالة الديوانية أو الإدارية أو الرسمية أو العامة:** وهي التي تختص بتصريف شئون الدولة وما يصدر عن دواوينها ووزاراتها ومصالحها الحكومية، أو يَرِد إليها متعلقًا بأمور الإدارة والسياسة والقانون والوظائف.

٣- **الرسالة الأدبية:** وهي التي تتخذ موضوعها من القيم الإنسانية، والأخلاقيات، والأدبيات، وتقديم وجهة النظر في هذه الموضوعات. وتعتبر الرسائل الأدبية – كما يقول الدكتور مجدي وهبة– مرحلة تطوّر للرسائل الإخوانية، فبينما كان كاتب الرسالة الإخوانية يعبر عن وداده لصديق معين مثلاً، مال كاتب الرسالة الأدبية إلى التجديد، فأصبح يكتب عن الوداد والأخوة بصفة عامة[4].

---

(١) راجع: جابر قميحة: أدب الرسائل في صدر الإسلام، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤٠٦-١٩٨٦، ص(٧-١٣).

(٢) أحمد الشايب: الأسلوب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثامنة، ١٩٨٨، ص(١١٣).

(٣) معجم مصطلحات الأدب، ص(٢٨١).

(٤) السابق، ص(٤٦٣). ومن أشهر الرسائل الأدبية رسالة ابن القارح لأبي العلاء المعري يعرض فيها رأيه في بعض الشعراء والقضايا الأدبية، ويطرح عليه بعض الأسئلة، وكان رد أبي العلاء عليه برسالة طويلة جدًا باسم «رسالة=

ورسائل الإمام الشهيد

وبعد هذه التوطئة نرى للرسائل مكانًا فسيحًا رحيبًا في حياة حسن البنا ومسيرة دعوته، وهذه الرسائل يمكن انتظامها في ثلاثة أنواع وهي:

(١) الرسائل الدعوية الكتابية. (٢) الرسائل العامة الموجهة.

(٣) الرسائل الشخصية أو الخاصة.

والنوع الأول يشبه ما ذكرناه آنفا باسم «الرسائل الأدبية»، وخصوصًا تلك التي كتبت ابتداء -دون أن تكون موجهة لشخص معين أو جماعة معينين. وتتمثل هذه الرسائل في كتب صغيرة، وهي تحمل فكر الجماعة، وتعد المصدر الأصيل لهذا الفكر، وبعد استشهاد الإمام البنا جمعت هذه الرسائل في مجلد ضخم جاء في خمسمائة صفحة، ويضم بين دفتيه عشرين رسالة.

يقول الإمام: كان أول ما طبع من الرسائل «القانون الأساسي للإخوان المسلمين واللائحة الداخلية»، ثم صدرت «رسالة المرشد» وظهر منها عددان فقط، وكانت الرسالة الأولى بتاريخ ٥ من رمضان سنة ١٩٤٩هـ الموافق ٢ من يناير سنة ١٩٣١، والثانية بتاريخ ٢٠ من شعبان سنة ١٣٥١ تقريبًا، وهو الموافق ١٩ من ديسمبر١٩٣٢[١].

وتوالت بعد ذلك رسائل ونشرات في هذا الصدد منها ما هو للإشارة إلى أعمال الإخوان الاجتماعية، ومنها ما هو شرح لأهداف دعوتهم، ومنها ما هو توجيه للحكومات إلى الأخذ بتعاليم الإسلام[٢].

أنواع الرسائل الدعوية الكتابية

وهذه الرسائل يمكن تقسيمها -على أساس صورة إعدادها، وآلية أدائها إلى:

أولاً: رسائل مقالية:

أي نشرت في شكل مقالات، ثم جمعت بعد ذلك في رسالة واحدة مثل:

١) رسالة (بين الأمس واليوم) ص(١٤٣). وقد نشرت تباعًا في جريدة «الإخوان المسلمين» ابتداء من عدد ٤ صفر ١٣٥٣.

=الغفران». ومما يدور في هذا الفلك إطلاق اسم «الرسالة» على موضوع معالج بإسهاب حتى لو لم يوجه إلى شخص معين أو أشخاص معينين كرسائل إخوان الصفا.

(١) لم يقدر لنا الاطلاع على هاتين الرسالتين، ولم يضمهما مجلد (رسائل الإمام الشهيد)، وربما نشرتا بعد ذلك باسم آخر غير (رسالة المرشد).

(٢) مذكرات الدعوة والداعية، ص(١٨٥).

٢) رسالة: «هل نحن قوم عمليون» ص(٣٤٧). وقد نشرت تباعًا بجريدة الإخوان ابتداء من العدد (١٤) بتاريخ ٢٨ من ربيع الثاني سنة ١٣٥٣ ثم الأعداد ١٥، ١٦، ١٧، ١٨، ٢١، ٢٢، ٢٤، ٢٦، ٢٧.

ثانيًا: رسائل خطابية:

أي تمثلت في خطب ومحاضرات، ثم بعد ذلك طبعت في رسائل. وهي:

١) رسالة إلى الشباب. ص(٩٥).

٢) رسالة الإخوان المسلمين تحت راية القرآن. ص(١٠٧)، وهي نص خطاب ألقاه المرشد في جمع حاشد من الإخوان بدار الإخوان بالقاهرة يوم الثلاثاء ١٤ من صفر ١٣٥٨- الموافق ٤ من أبريل ١٩٣٩.

٣) رسالة المؤتمر الخامس. ص(١٦٦)، وهي نص خطاب ألقاه المرشد في ١٣ من ذي الحجة ١٣٥٧.

٤) رسالة «إلى الطلاب» ص(٣٠٧)، وهي نص خطبة ألقيت في مؤتمر الإخوان سنة ١٣٥٧.

٥) رسالة المؤتمر السادس ص(٣٢٣)، وهي خطاب ألقي في المؤتمر المنعقد في يناير ١٩٤١.

ثالثًا: رسائل عامة مكتوبة موجهة إلى معروفين محددين:

- رسالة نحو النور. ص(٦٧).

رابعًا: رسائل معدة مكتوبة:

وهي التي ألفت ابتداء، ولا تدخل في نطاق الأنواع السابقة، وهي:

١) دعوتنا. ص(١٥).

٢) إلى أي شيء ندعو الناس. ص(٣٩).

٣) دعوتنا في طور جديد. ص(١٢٢).

٤) مشكلاتنا في ضوء النظام الإسلامي. ص(٢٠٩)[١].

---

(١) جاء في ديباجة هذه الرسالة: «إلى رئيس الحكومة باعتباره المسئول الأول، وإلى أعضاء الهيئات النيابية -على اختلافها- باعتبارهم الدعاة الرسميين لنظام الإسلام، وإلى رؤساء الهيئات الشعبية السياسية والوطنية والاجتماعية باعتبارهم قادة الفكر وموجهي الجماهير، وإلى كل محب لخير العالم وسيادة بني الإنسان: أوجه هذه الكلمات أداء للأمانة، وقيامًا بحق الدعوة. ألا قد بلغت، اللهم فاشهد» [مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا، دار الدعوة، الإسكندرية، ١٤١٠-١٩٨٩، ص(٢١٠)]. =

٥) مشكلاتنا الداخلية في ضوء النظام الإسلامي- نظام الحكم. ص(٢٣١).
٦) مشكلاتنا الداخلية في ضوء النظام الإسلامي- النظام الاقتصادي. ص(٢٥٣).
٧) رسالة الجهاد. ص(٢٧١).
٨) المرأة المسلمة. ص(٢٩٣).
٩) رسالة التعاليم. ص(٣٨٧).
١٠) نظام الأسر. ص(٤٠٧).
١١) العقائد. ص(٤١٣).
١٢) المأثورات. ص(٣٥٥).

ومن قراءة هذه الرسائل نخرج بعدة حقائق أهمها:

(١) أن هذه الرسائل -وقد أشرنا إلى ذلك من قبل- تمثل أصول الفكر الإخواني، وبرامج الإخوان، ومنهاجهم التربوي والإصلاحي في نطاق الفرد والأسرة والمجتمع.

(٢) ومن ثم تعددت المحاور الموضوعية لهذه الرسائل:

أ- فمنها العقدي الروحاني: كالعقائد والمأثورات.

ب- ومنها التنظيمي الداخلي للجماعة: كنظام الأسر ورسالة التعاليم.

جـ- ومنها ما هو تنظيمي عام للجماعة، وهو أوسع وأرحب من النوع السابق، كرسائله الخطابية الموجهة للإخوان، مثل: رسالة إلى الشباب، ورسالة المؤتمر الخامس، ورسالة: إلى المؤتمر السادس.

د- ومنها ما يمثل عرْضًا لمبادئ الإخوان ومنهجهم الإصلاحي مثل: رسالة دعوتنا، ورسالة: إلى أي شيء ندعو الناس.

هـ- ومنها ما هو إسلامي -بالمفهوم العام: يعرض للرسالة والرسول ﷺ وأصحابه، وحال الدولة الإسلامية في ماضيها وحاضرها، وموقف الإسلام من «المحدثات» كالقومية والمذاهب الأخرى، كرسالة: بين الأمس واليوم، ورسالة: المرأة المسلمة، ورسالة: هل نحن قوم عمليون؟

و- ومنها ما يمكن أن نسميه الرسائل الدستورية، وهي التي تعرض الخطوط العريضة للدستور الإسلامي في مجال الحكم والاقتصاد والتربية والحرب، مثل: مشكلاتنا في ضوء النظام الإسلامي: نظام الحكم، النظام الاقتصادي- رسالة الجهاد.

= ولكنا أدخلنا هذه الرسالة ضمن الرسائل الدعوية الكتابية؛ لأنها لم توجه إلى معينين محددين بالأسماء، حتى تندرج تحت ما أطلقنا عليه (الرسائل العامة الموجهة).

ومن فضول القول أن أقرر هنا أن هذا التقسيم يقوم على أساس «الغالب» لا «المطلق»؛ فهناك تداخل «محمود» وتعانق مثمر بين عدد من الأفكار في كل الرسائل، حتى ليصعب -في بعض الأحيان- الفصل بين ما هو «إخواني خاص» و«اجتماعي إسلامي عام».

(٣) وكل رسالة من هذه الرسائل تمثل «كُتيِّبًا»، أي: كتابًا صغيرًا، ولكن مضمونه الفكري -لو بسط أو شرح- لجاء في كتاب كبير[1].

(٤) وإحدى هذه الرسائل، وهي (نحو النور) جاءت ذات طبيعة مزدوجة فهي «رسالة كتابية دعوية»، وهي من ناحية أخرى «رسالة عامة موجهة» لأشخاص معروفين بأسمائهم، فقد كتبها الإمام الشهيد، ووجّه رسله إلى الملوك ورؤساء الحكومات، وكبار القوم، مما سنفصله في مقالاتنا القادمة -إن شاء الله.

وهي تختلف في هذه السمة عن رسالة مشكلاتنا الداخلية في ضوء النظام الإسلامي ص(٣٠٩) فقد كتبها الإمام الشهيد وصدرها بقوله: «إلى رئيس الحكومة.. وإلى أعضاء الهيئات النيابية.. » ولكنها لم تسلَّم إلى هؤلاء، فهي تشبه ما ينشر حاليًا في بعض الصحف تحت عنوان: «خطاب مفتوح إلى فلان».

ونكتفي بهذه الوقفة العابرة مع هذا النوع من رسائل الإمام؛ لأن الدراسة المتأنية لهذه الرسائل تكفلت بها مئات من الكتب والبحوث والأطروحات الجامعية من ناحية أخرى.

ونلتقي في الصفحات الآتية -بمزيد من البسط والتفصيل- مع النوع الثاني -من رسائل الإمام، وهي رسائله إلى الملوك والأمراء والرؤساء، وهي ما سميناه بـ«الرسائل العامة الموجهة»، ثم نعرض ونعالج -معالجة نقدية- رسائله الخاصة إلى أبية الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا -رحمه الله.

والرسائل الديوانية أو الرسمية

والرسائل العشرون التي كتبها الإمام الشهيد حسن البنا[2]، ووجهها إلى شخصيات عامة في أمور تتعلق بالدين والأمة والوطن، هذه الرسائل خلوصًا إلى تحديد أبعادها وملامحها وطوابعها الفكرية والفنية يمكن التعامل معها في واحد من التقسيمات الآتية:

(١) فرسالة «التعاليم» -مثلاً- جاءت في ١٨ صفحة [مجموعة رسائل الإمام الشهيد، ص(٣٨٨-٤٠٥)]، وشرحها الأستاذ سعيد حوى في كتاب من ٣٥٠ صفحة بعنوان (في آفاق التعاليم).

(٢) لم ندخل البرقيات في هذا الإحصاء، وأدخلنا فيه رسالة إلى مكتب الإرشاد ورسالته إلى الإخوان وهى آخر الرسائل -كما ذكرنا.

أولاً: تقسيمها على أساس المرسَل إليه (أي: شخصية المستقبل) إلى:

١) رسائل إلى الملوك بأسمائهم: رسالة إلى الملك فؤاد، ورسالتين إلى الملك فاروق.

٢) رسائل إلى الملوك والأمراء والكبار بصفاتهم: (وإن سُلِّمَتْ إلى كل منهم): رسالة نحو النور.

٣) رسائل إلى رؤساء الحكومات: رسالة إلى محمد توفيق نسيم –وثلاث رسائل إلى مصطفى النحاس، ورسالتين إلى علي ماهر، ورسالتين إلى إسماعيل صدقي، ورسالة إلى محمود فهمي النقراشي.

٤) رسائل إلى شخصيات أخرى: رسالة إلى الأمير عمر طوسون، ورسالة إلى الأنبا يؤنس، ورسالة إلى السفير البريطاني، ورسالة إلى مكتب الإرشاد، ورسالة إلى الإخوان بصفتهم، ورسالة إلى حاخام اليهود بمصر، ورسالة إلى رئيس مجلس الأمن وسكرتير هيئة الأمم.

ثانيًا: تقسيمها على أساس الموضوع والمضامين:

١) رسائل من أجل العقيدة والقيم الدينية: إلى كل من: الملك فؤاد ومحمد نسيم والنحاس (الرسالة الأولى)، والملك فاروق (الرسالة الأولى).

٢) رسائل من أجل القضية الفلسطينية: إلى كل من: عمر طوسون، والأنبا يؤنس، والسفير البريطاني، وعلي ماهر (الرسالة الأولى)، وحاخام الطائفة اليهودية بمصر.

٣) رسائل الدعوة الإسلامية الشاملة: نحو النور.

٤) رسائل الدفاع عن الجماعة: إلى النحاس في الرسالة الثالثة.

٥) الرسالة التي وجهها إلى أعضاء مكتب الإرشاد من أجل النهوض الإداري والوظيفي، والرسالة التي وجهها إلى الإخوان في شكل وصية.

٦) رسائل الدعوة إلى الإصلاح الخارجي والداخلي: إلى كل من: علي ماهر(الرسالة الثانية)، ومصطفى النحاس (الأولى والثانية)، وإسماعيل صدقي (رسالتين)، وإلى فاروق (رسالتين)، ومحمود فهمي النقراشي، ويلحق بها ما يتعلق بالقضية الوطنية كالرسالة الموجهة إلى رئيس مجلس الأمن.

ثالثًا: تقسيمها على أساس زمني:

وذلك بترتيب هذه الرسائل اعتمادًا على تاريخ إرسالها، ابتداء بأقدمها، وانتهاء

بأحدثها، ولو على وجه التقريب، وهو التقسيم الذي اتبعناه في عرض هذه الرسائل بصورة تقريبية، وإلى حد كبير.

ومن محاسن هذا النهج الأخير أنه يُبين بطريقة طبيعية، وفي مصداقية -عن طبيعة امتداد الخط العَقَدي والفكري للإمام البنا في مساره التصعيدي، ومدى الالتزام -نظريًّا وسلوكيًّا- بالثوابت، وتطوير المتغيرات، ومدى ناشطية التفاعل مع الأحداث تأثرًا وتأثيرًا في واقع المواضعات والمستجدات المحلية والعالمية في المسيرة الزمنية المطردة المتصاعدة.

ومن محاسن هذا النهج كذلك أنه يسهّل للدارس الوصول إلى ما يحرص عليه من استخلاصات، وموازنات بين المواقف خلوصًا إلى الأحكام العادلة، حيث يكون للموقف في وقت معين -ارتباطًا بالأحداث، وقرائن الأحوال المصاحبة- وجاهتُه وقيمتُه وفاعليته، بينما يفقد مثل هذا الموقف هذه السمات -بل قد ينتقل إلى خانة النقيض- في وقت مغاير، وظروف مختلفة.

وليس معنى ذلك أن التقسيمات الأخرى -التي يعتمد كل منها على أساس غير الأساس الزمني- تخلو من المزايا، بل قد يكون لها من المحاسن -أو لبعضها على الأقل- ما يفوق ما للتقسيم الزمني، ولكن المسألة تتوقف على طبيعة الدراسة، والزاوية التي ينظر منها الدارس، مما يحتاج إلى شرح طويل يضيق عنه مقامنا هذا.

الوقفة الموضوعية مع هذه الرسائل تقودنا إلى إقامة «فرض» لا يخلو من طرافة، وخلاصة هذا الفرض أن تكون هذه الرسائل العشرون هي كل التراث الفكري الذي خلفه الإمام البنا والمدرسة الإخوانية، وبمواكبة هذا الفرض، وبعد معايشتي لهذه الرسائل معايشة عقلية محايدة، خرجت -دون تعسف أو تعمّل- بعدد من الحقائق الموضوعية تتلخص فيما يأتي:

١- أن هذه الرسائل تمثل -في إيجاز ووضوح بصورة مباشرة وصورة غير مباشرة- أهم تضاريس المدرسة الإخوانية ومبادئها وطوابعها السياسية والاجتماعية والأخلاقية، ومنهجها الإصلاحي في المجالات المتعددة.

٢- أنها تمتد -كما رأينا- فتعالج كل القضايا والمسائل الإسلامية والعربية والوطنية والحزبية.. مسائل الداخل والخارج، مما يقطع برحابة المنهج ومرونته ووعيه ومصداقيته، وحرص أصحابه على الإصلاح الحقيقي.

٣- وهذه الرسائل تنقض تهمة حاول بعضهم إلصاقها بالإخوان ومرشدهم وهي تقلُّبُ سياستهم وعلاقتهم برؤساء الحكومات ووزرائها بحيث لا يحكمها إلا النفعية الحزبية،

فهم مرة يؤيدون الوفديين، ثم ينقلبون على الوفد، ويؤيدون الأحرار الدستوريين، أو السعديين.. إلخ... وهو كلام أُلْقِي على عواهنه، ويتمتع بحظ وافٍ من الضعف والهشاشة؛ وذلك لاعتماده على تصورات غالطة، ويرجع غلط هذه التصورات إلى الأسباب الآتية:

أ- قصور مفهوم أصحابه لطبيعة السياسة، وخلطهم في المجال الحزبي بين الثوابت والمتغيرات، وخلطهم كذلك بين الارتماء الاستسلامي، والانتماء النقي الطاهر الذي يعني الإخلاص والشعور القوي بالارتباط بالحزب أو الجماعة دون تفكيك الشخصية وذوبانها في «شخصية الجماعة». وهؤلاء تضيق آفاقهم ونظراتهم: فالحسن -بإطلاق- هو ما استحسنوه، أما ما لم يستجيدوه فهو السيئ الضالع في القبح والسوء.

ب- أنهم نظروا إلى مواقف الإخوان من الحكومات والأحزاب، وقيموها على أساس الظاهر، أو الناتج الآني القائم، ولم يبحث هؤلاء -عن عمد أو غفلة- عما وراء هذه المواقف الإخوانية -المتقلبة أو المتناقضة في نظرهم- من دوافع وحيثيات تتلخص في أن الإخوان في قبولهم وتأييدهم، أو رفضهم وإنكارهم وحملِهم على أية حكومة إنما يَصْدُرون في كل هذه المواقف عن إيمانهم الراسخ بقضايا الوطن والعروبة والإسلام.

وقد حَسَمتْ هذه الرسائل الحكم -فيما حمل على الإخوان بأنه تقلب بل تناقض في المواقف يقطع بتناقض فكري وعقدي- بأن رصدت لكل موقف من الأسباب والتعليلات الحقيقية، ما يجعل الرأي المعروض مستساغًا غير منكور. ويطرد هذا النهج في كل الرسائل. وأكتفي بشاهد واحد:

تولى إسماعيل صدقي رئاسة الوزارة في ١٨/ ١٢/ ١٩٤٦ «وقد تعهد صدقي للإخوان بالمطالبة الجادة القوية بحقوق البلاد، أو التخلي عن الحكم إذا تعسرت الأمور»[١].

وغض الإخوان نظرهم عن ماضي صدقي الضليع في الدكتاتورية طمعًا في أن يفتح في حياته صفحة جديدة، وتأييدًا لهذه الوزارة، وتثبيتًا لمركزها أمام الإنجليز اشترك الإخوان في مظاهرات ضخمة في ٢١/ ٢/ ١٩٤٦[٢].

وبعد ذلك بثلاثة أيام سلم مندوب الإخوان لصدقي رسالة للمرشد، يحدد فيها مطالب الأمة والإخوان. فلما حنث صدقي بما وعد كانت رسالة المرشد الثانية إليه في ٨ من أكتوبر ١٩٤٦، وهي رسالة شديدة اللهجة تتهم صدقي بالظلم والبطش، والتضامن مع الإنجليز ضد الشعب، وتطالبه بالاستقالة الفورية.

---

(١) الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ، (١/ ٣٦٩).

(٢) السابق، (١/ ٣٧٠).

ورفع المرشد في التاريخ نفسه رسالة إلى الملك فاروق يطلب منه فيها إقالة صدقي، وعجز صدقي عن الصمود، وقدم استقالته في ٩/١٢/١٩٤٦.

وبهذا المنطق -منطق اتخاذ الموقف الملائم المبرر- أخذ الإخوان أنفسهم في مواقفهم من وزارات النقراشي، ووزارات مصطفى النحاس. فلا تناقض إذن، ولكنه الاتساق مع متطلبات العقيدة والعروبة والوطن، بحيث يكون الثبات على موقف واحد -مع تغير الظروف والأحوال- هو عين التحجر والجمود، وسوء الفهم، وضيق الأفق.

٤- أنها تسلك منهج التدرج في معالجة المسائل والمشكلات من البسيط الفردي إلى الجماعي المعقد الرحيب، ومن الوطني الخاص إلى العربي والإسلامي الشامل العام. وهو مسلك يتفق مع منطق الدعوات والحركات الإصلاحية الواعية، حتى كانت أشمل الرسائل وأجمعها وأوعاها وهي رسالة نحو النور -الموجهة إلى ملوك العرب، ورؤساء حكوماتهم، وكبار شخصياتهم- من أواخر الرسائل، وقبل استشهاد الإمام البنا بعامين أو ثلاثة.

ومضامين هذه الرسالة الجامعة جاءت قبل ذلك بسنوات وفي فترات مختلفة موزعة شرائح شرائح في الرسائل السابقة، ومن ثم لا يستطيع أحد أن يدعي أن الإمام البنا قد فاجأ شخصيات الكبار، وأبناء الوطن والأمة العربية بجديد لم يسمعوا به، فما جاء في هذه الرسالة الجامعة الواعية لا يعدو كونه تفصيلاً للثوابت التي تمثل نخاع دعوة الإخوان، وتكرر دورانها والإلحاح عليها في خطب الإمام وكتبه ورسائله الدعوية(١).

---

(١) ويقع في الخطأ من يحاول أن يقسم مسيرة هذا التدرج الطبيعي إلى مراحل أيدلوجية منفصلة، كما فعل بعض من كتب عن دعوة الإخوان مثل «رفيق حبيب» فقد قسم مسيرة دعوة الإخوان إلى ثلاث مراحل هي:

١- المرحلة الأخلاقية: وتمثل جذور الحركة.

٢- المرحلة الاجتماعية: وتضمن بداية التأثير الفعلي على المجتمع العام.

٣- المرحلة السياسية: وفيها حاولت الجماعة المشاركة في الحكم بعد مشاركتها في التوجيه الأخلاقي والنشاط الاجتماعي. [انظر د. رفيق حبيب: الاحتجاج الديني والصراع الطبقي في مصر، دار سينا للنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٩، ص(١٠٢-١٠٤)].

وتاريخ الجماعة ينقض هذا التقسيم الحاد، وكذلك رسائل الإمام الشهيد؛ فالإسلام -في نظر الجماعة- فيه من الشمولية ما يتسع للقيم الأخلاقية والاجتماعية والسياسية. وكان اختلاف اهتمامات الجماعة في نطاق هذه النوعيات اختلافًا في الدرجة لا اختلافًا في نوعية الموقف، وخصوصًا أنها قيم متلبسة متصاهرة. وإن هيمن عليها كلها الطابع الأخلاقي الرباني. وحق لروبير جاكسون أن يقول عن الإمام الشهيد: «وكان يريد أن يكذب قول تاليران «إن اللغة لا تستخدم إلا لإخفاء آرائنا الحقيقة»، فقد كان ينكر أن يضلل السياسي سامعيه أو أتباعه أو أمته، وكان يعمل على أن يسمو بالجماهير ورجل الشارع فوق خداع السياسة وتضليل رجال الأحزاب» [حسن البنا: الرجل القرآني، ص(١٢)].

٥- ومن شعارات الإخوان المعروفة «الجهاد سبيلنا» و«الموت في سبيل الله أسمى أمانينا»، ومع ذلك نجد في هذه الرسائل مكانًا فسيحًا للدعوة إلى السلام، والمعايشة السلمية، والأخذ بالحل السياسي الكريم: فنجد الإمام الشهيد -بعد أن قدمت حكومة علي ماهر معونة لضحايا انتفاضة ١٩٣٦ يخاطبه في رسالته إليه بقوله: «.. والمسعى السياسي لحل قضية فلسطين أهم بكثير من هذا المسعى الإنساني -على جلاله ورحمته- ولعل الظروف الحالية هي أنسب الظروف لإعادة النظر في هذه القضية».

ويذكر القواعد التي يجب أن يقوم عليها الحل السلمي، وأهمها «اعتراف الحكومة البريطانية -صاحبة الانتداب على فلسطين- باستقلال فلسطين عربية مسلمة، والتعاقد معها تعاقدًا شريفًا على نحو ما حدث في مصر والعراق مثلاً»[(١)].

وفي رسالته للسفير البريطاني في ٢ من نوفمبر ١٩٣٧ يستهجن سياسة بريطانيا العدوانية في فلسطين، ويدعوه إلى مطالبة حكومته «بوقف الهجرة الصهيونية إلى فلسطين، وتحقيق الاستقلال التام على أساس اتفاق شريف يضمن حقوق العرب، ويعامل فيه اليهود معاملة الأقليات في جميع البلدان»[(٢)].

وتطرد هذه الرؤية أيضًا ليدخل في نطاقها حل القضية المصرية بجلاء القوات البريطانية، واعتراف إنجلترا باستقلال مصر والسودان.

أما إذا أخفق الحل السلمي الذي يتمثل -بصفة أساسية- في جلاء الإنجليز جلاء تامًّا عن أرض وادي النيل، مع الاعتراف الحاسم باستقلال مصر والسودان كما ذكرنا، فليس هناك - كما يقول الإمام الشهيد مخاطبًا في رسالته إسماعيل صدقي- «إلا أن تدعو الأمة إلى الجهاد في سبيل حقوقها، وتنظم معها وسائله وأساليبه، كما تفعل كل أمة ترجو الحياة العزيزة، وتؤثر الموت الكريم في ظل الاستشهاد على الاستكانة والذل والاستعباد. »[(٣)].

---

(١) مذكرات الدعوة والداعية، ص(٣٦١). وكان اليهود حتى عام ١٩٤٨ عندما أعلنوا قيام إسرائيل يمثلون قرابة ٣٠% من عدد السكان. وكانوا قبل الهجرات المتوالية إلى فلسطين أقل من ذلك بكثير، فلغة الأرقام تقول: في عام ١٩١٤ كان مجموع سكان فلسطين ٦٨٩ ألفًا بينهم ٨٤ ألف يهودي (أي أقلية نسبتها إلى عدد السكان ١٢%)، وفي عام ١٩٢٥ بلغ مجموع سكان فلسطين ٧٦٢ ألفا منهم ١٥٧ ألف يهودي (أي بنسبة ٢١%)، وفي نهاية عام ١٩٣١ بلغ مجموع اليهود ١٧٥ ألف يهودي، وتدفقت الهجرات حتى ارتفعت نسبة اليهود إلى ٣٣% سنة ١٩٤٨. [راجع تفصيلات مطولة لهذه الإحصائيات، وتطور الهجرات اليهودية Zionism and Arabism p.76 Ihhn Tha وكذلك، Palestine and Israel p.76.Elie kedourie and Sylvia G Haim London 1982. Palestine Diary p82(volume tow) Robert John- Sami Hadawi.(1945-1948)

(٢) مذكرات الدعوة والداعية، ص(٣٠٤).

(٣) من رسالة الإمام الشهيد لصدقي في ٨ من أكتوبر ١٩٤٦. [انظر: الإخوان المسلمون: أحداث صنعت التاريخ، (١/ ٣٧٨)].

٦- وتنطق هذه الرسائل برؤى مستقبلية بصيرة، فكأنما كان الإمام البنا ينظر إلى المستقبل من ستر رقيق، وكأنه المعنيّ بقول الشاعر:

الألْمعيُّ الـذي يظـنّ بـك الظـنَّ كـأنْ قـدْ رأى وقـد سَـمِعَا

ويطول بنا المسار جدًّا لو رحنا نتتبع مظاهر هذه الرؤى المستقبلية التي أثبت حاضرنا صحتها ومصداقية تقديرها، مما ينم على ألمعية حقيقية.

وبعد هذه الوقفة التي طالت مع هذا النوع من الرسائل، نرى من تتمة القول أن نلقي الضوء -في إيجاز شديد على منهجها:

إن كل رسالة من هذه الرسائل تمثل وحدة بنائية موضوعية متماسكة الجوانب والعناصر بحيث يؤدي كل جزء إلى ما يليه في نسق طبيعي دون افتعال:

يستهل الإمام الرسالة بالبسملة والحمد والصلاة والتسليم على رسول الله ﷺ، ثم تحية المرسل إليه بالسلام، وبعض عبارات التبجيل والتوقير للمرسل إليه أو الدعاء له. وكل ذلك في إيجاز ووضوح.

وبعد هذا التقديم الذي يهيئ نفس المتلقي يَرِدُ صلب الموضوع الذي يمثل أطول أجزاء الرسالة وأهمها، حيث يعرض المطلوب في إسهاب مقبول وحجة ظاهرة، مع تدعيم كل مطلوب بما يعلله ويقويه من براهين وشواهد. فإذا ما طالت الرسالة وتعددت المطلوبات جاءت منسقة مرتبة في أرقام محددة في السياق المتتابع، لا يتيه بعضها في تتابع هذا السياق.

وتختم الرسالة -غالبًا- بالاستنهاض والحث -في أدب- على تحقيق المطلوب والمأمول، ثم الدعاء للمتلقي، كما نرى في ختام رسالة الإمام الشهيد لعلي ماهر في ٢٠ من شعبان ١٣٥٨:

«اعملوا على هذا -يا رفعة الرئيس، وجاهدوا في سبيله، فهو خير ما تستقبلون به هذه المواسم الفاضلة، وتتقربون به إلى الله. هذا -يا صاحب الرفعة- بعض ما أردنا أن نتقدم إليكم به في هذا الوقت العصيب. والله نسأل أن يتدارك العالم برحمته، وأن يتولى مصر الناهضة بالخير والتوفيق. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

ونختم حديثنا عن الرسائل بوقفة مع الرسائل الخاصة للإمام الشهيد. وهذه الرسائل الخاصة أو الشخصية لا تزيد على العشرين أرسلها حسن البنا إلى والده[1] على مدى

(١) ولد أحمد عبد الرحمن البنا بإحدى قرى محافظة الغربية سنة ١٣٠٠هـ (١٨٨٢م)، ثم انتقل بمحافظة البحيرة، وبالمحمودية (التي كان يطلق عليها «العطف» أحيانًا باسم مشروع أقيم بجوارها) ولد له كل أبنائه وبناته وهم: حسن١٩٠٦- عبد الرحمن١٩٠٨- فاطمة١٩١١- محمد١٩١٣- عبد الباسط١٩١٥- زينب١٩١٩ (وقد توفيت=

واحد وعشرين عامًا ونصف عام. وكانت أول رسالة مؤرخة بالثلاثين من يناير سنة ١٩٢٦ (وهو في سن العشرين) وآخر الرسائل بتاريخ ١٢ من أغسطس سنة ١٩٤٧، أي: قبل استشهاده بعامين.

وقد صدَّر حسن البنا هذه الرسائل إلى والده من العطف (المحمودية) -وهو في نهاية تعليمه العالي بكلية دار العلوم، وكانت الأسرة كلها بالقاهرة بعد هجرتها إليها من المحمودية إلى القاهرة سنة ١٩٢٤ قبل تخرج الإمام بثلاث سنوات؛ إذ كان والده يكلفه - كما يذكر جمال البنا- ببعض الأعمال لإنجازها في المحمودية.

وبعض هذه الرسائل مرسل من الإمام البنا وهو يعمل مدرسًا في الإسماعيلية.

وبعضها أرسله من قنا إلى والده بعد أن نقل إليها نقلاً تعسفيًّا[1].

وقد ظل الإمام الشهيد يعمل مدرسًا لمدة تسعة عشر عامًا، وجاء تعيينه في مدينة الإسماعيلية سنة ١٩٢٧، ثم انتقل للعمل بالقاهرة في أكتوبر سنة ١٩٣٢ بعد أن تزوج من آل الصولي وهم من أعيان المدينة.

وفي وزارة حسين سري، وبضغط من الإنجليز صدر قرار بنقله إلى قنا في فبراير سنة ١٩٤١. وظل يعمل بقنا أربعة أشهر، ثم أعيد إلى العمل بالقاهرة أول يوليو ١٩٤١.

=بعد عدة أشهر)-أحمد جمال الدين١٩٢٠- فوزية١٩٢٣. عمل مأذونًا وإمامًا بالمحمودية، وكذلك بتصليح الساعات. وفي سنة ١٩٢٤ انتقل بأسرته كلها إلى القاهرة ليتخذ منها مستقرًا ومقامًا بعد أن التحق ابنه حسن بدار العلوم. وأخلد أعماله هو «الفتح الرباني في ترتيب مسند أحمد بن حنبل الشيباني» في خمسة وعشرين مجلدًا، وقد أنفق من عمره في هذا العمل العظيم ثمانية وثلاثين عامًا. وقد انتقل إلى جوار الله في ١٩ من نوفمبر ١٩٥٨. ولم يبق من أبنائه وبناته على قيد الحياة سوى أحمد جمال الدين، أطال الله في عمره. (عن الترجمة المسهبة التي كتبها الأستاذ أحمد جمال الدين عن والده). وانظر كذلك المقال الطيب الذي كتبه الأستاذ محمد عبد الله الخطيب بعنوان: «العالم العامل صاحب الفتح الرباني الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا» مجلة المجتمع، العدد (١٢١٦).

(١) كان الإمام حسن البنا يعمل مدرسًا بالمدرسة المحمدية بالقاهرة، وقد زاد نشاط الإخوان قوة وانتشارًا مما دفع الإنجليز إلى الضغط الشديد على حسين سري باشا رئيس الوزراء للحد من نشاط هذا الرجل بزعم أنه يعمل «في أوساط جماعته لحساب إيطاليا»، ووجد رئيس الوزراء حسين سري أن المخرج لا يكون إلا بنقل الأستاذ البنا إلى «قنا» بصعيد مصر، وتم ذلك في ٢٢/ ٢/ ١٩٤١، ولكن بعض النواب ساءهم هذا الاستسلام لرغبة الإنجليز، فسعوا إلى إعادة المرشد إلى القاهرة، وتم ذلك في أول يوليو من السنة نفسها. يقول الدكتور محمد حسين هيكل - وكان أيامها وزيرًا للمعارف في وزارة سري «لكن الذي لا شبهة فيه أن تراجعه (حسين سري) أشعر الشيخ حسن البنا بأن له من القوة ما يسمح له بمضاعفة نشاطه من غير أن يخشى مغبة ذلك النشاط، وأن هذا الشعور كان له أثره في تطور جماعة الإخوان المسلمين من بعد» [د. محمد حسين هيكل: مذكرات في السياسة المصرية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٧، (٢/ ١٧٨)]، وانظر تفصيل هذا النقل وخطواته في الكتاب السابق، ص(١٧٧-١٧٩)، وانظر كذلك: في قافلة الإخوان المسلمين، (١/ ٨٥-٨٦).

ثم استقال من العمل في أول أكتوبر سنة ١٩٤٦، لكي يتفرغ لخدمة الدعوة.

ونلاحظ أن الإمام البنا لم يسجل في مذكراته (مذكرات الدعوة والداعية) نص رسالة واحدة، أو جزءًا من رسالة واحدة، أو حتى إشارة إلى رسالة واحدة من تلك التي أرسلها إلى أبيه، مع أن بعضها يحمل إشارات إلى أمور ومسائل عامة تتعلق بالدعوة أو الأمة. وقد يرجع إغفال هذا التسجيل إلى الأسباب الآتية:

أ- أنها رسائل خاصة تعالج مسائل شخصية أو عائلية يرى الإمام أنها لا تهم -من قريب أو بعيد- المشتغلين بالدعوة والعمل العام.

ب- أن ما أشارت إليه هذه الرسائل من مسائل أو شخصيات عامة عالجتها المذكرات بإسهاب وتفصيل يغني عن تسجيل هذه الرسائل.

جـ- كان التواضع الجم من أهم فضائل الإمام الشهيد، حتى إنه في كثير من جوانب مذكراته لا يتحدث عن نفسه إلا بضمير الغائب[1]. وربما رأى الإمام البنا أن نشر هذه الرسائل الشخصية أو بعضها يتعارض مع فضيلة التواضع؛ فهي ليست «مذكرات حسن البنا»، ولكنها «مذكرات الدعوة والداعية».

د- وقد يكون ذلك من قبيل إجلاله أباه، وتوقيره إياه؛ لأن الرسائل تكشف عن طبيعة المعاناة، وضيق الحال، وضيق ذات اليد، وهي حال كان الوالد يعيشها، وحاول الابن -بجزء من راتبه- أن يرفع بعض هذه المعاناة، وكذلك بإعاشة بعض إخوته. وقد يكون في نشر هذه الرسائل التي تكشف هذا الواقع الاجتماعي ما قد يفسر على أنه من قبل المن والأذى.

وهذه الرسائل التي كتبها الإمام الشهيد -وأغلبها في شبابه- ترسم -صراحة أو ضمنًا- خطوطًا مهمة في صورته النفسية والخلقية. وهى بذلك تمثل -في نظري- جانبًا مهمًّا من ترجمته الذاتية. ويمكن القول: إن هذه الرسائل لو اجتمعت إلى النوع الثاني -الرسائل العامة أو الرسمية- وكذلك إلى مذكراته «الدعوة والداعية»، لتكوّن عندنا من هذه الثلاثية «ترجمة ذاتية كاملة» تهتم -أول ما تهتم- بالصورة الخلقية، والعقدية، والفكرية والنفسية للإمام الشهيد.

وأهم ما تعكسه هذه الرسائل الشخصية الخاصة من أخلاق الإمام الشهيد، وملامحه النفسية والروحية: بره بوالديه وأهله وإخوته وأقربائه إلى درجة الإيثار. وكذلك الصبر

---

(١) انظر-على سبيل المثال: ص(١٧-٢١، ٧٨-٨٤).

على الشدائد وشظف العيش، والصمود للضائقات والمتاعب بطاقة إيمانية راضية بقدر الله وقضائه إلى درجة التسليم، مع التفاؤل والتفتح للحياة بضمير حي يدفعه إلى أداء عمله في إقبال طيب، وحماسة ناشطة، وإخلاص منقطع النظير، وكذلك مرونة وقدرة على التكيف بكل وضع جديد يئول إليه، ومن أهم ملامح هذه الصورة التسامح الديني الكريم، وهو تسامح لا يشوبه أثارة من تعصب أو انغلاق.

وبعد كل أولئك أعتقد أنني لم أسرف في القول حينما ذكرت من قبل أن هذه الرسائل الشخصية بضمها إلى مذكرات الإمام الشهيد، ورسائله إلى الملوك ورؤساء الوزارات والوزراء وكبار الشخصيات يمكن أن تصنع لنا ترجمة ذاتية كاملة أو شبه كاملة للإمام الشهيد، وإن افتقرت إلى التسلسل الزمني للوقائع والأحداث، وهذا لا يعيبها؛ لأنها تكون بهذه الصورة «ترجمة ذاتية» تهتم -أول ما تهتم- بالصورة النفسية والعقدية والفكرية للإمام الشهيد.

ونشير في النهاية إلى نوع من رسائل الإمام يتسم بالإيجاز والتقطير هو «الرسائل البرقية» تتناول قضايا ومسائل داخلية وخارجية، وكلها تدور في الفلك الذي تدور فيه طوال الرسائل؛ لأنها تنطلق من نفس المعين النقي الطاهر، وعليها طوابع القائد المسلم الغيور على الإسلام والأمة والوطن والقيم العليا. كبرقيته إلى سكرتير نادي الضباط[1]، وبرقيته إلى البابا يوساب الثاني في أكتوبر ١٩٤٧[2]، وبرقيته إلى الرئيس الباكستاني محمد علي جناح في ٥ أغسطس١٩٤٧[3]، وبرقيته إلى سلطان مراكش في ٢٢/ ١٠/ ١٩٤٦[4].

---

(١) في قافلة الإخوان المسلمين، (١/ ١٧٦).

(٢) السابق، (١/ ١٨٥).

(٣) السابق، (١/ ١٧٧).

(٤) السابق، (١/ ١٢٥)، وانظر جابر قميحة: الإمام الشهيد، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٨، ص(١٧٠-١٧٢).

الفصل الرابع: المقال

المقال: «فن نثري» يعالج بإيجاز موضوعًا معينًا: أدبيًا، أو علميًا، أو سياسيًا، أو اجتماعيًا، أو دينيًا...إلخ. وعلى أساس الموضوع يتنوع المقال إلى: مقال نقدي، ومقال علمي، ومقال سياسي، ومقال اجتماعي، ومقال ديني، وغيرها. ولابد أن يكون مكتوبًا.

وكلمة «مقال» ليست غريبة على اللغة العربية، ولكنها من الناحية الفنية تعد محدثة في الأدب. فكلمة مقال كانت -في الحقيقة- أقرب على ما عرفه الأدب العربي القديم في الرسالة -لا الرسالة الشخصية أو الديوانية- ولكن الرسالة التي تتناول موضوعًا بالبحث: كرسائل إخوان الصفا. وازدهار المقال في مصر يرتبط بتاريخ الصحافة، وانتشارها، وتعددها، وإقبال القراء عليها من سنة ١٩٢٠، وتطورها أسلوبًا، وموضوعات، وكان للآداب الغربية آثار واضحة فيها.

وأيًا كان نوع المقال فإنه يشترك في عناصره المكونة له، وهي «مادة المقال» يستمدها الكاتب من أى موضوع يشاء: ذاتي أو موضوعي على أن تكون صحيحة لا تخلو من جدة وطرافة. والعنصر الثاني هو الأداء التعبيري أو الأسلوب، ويجب أن يكون صحيحًا سليمًا لغويًا وقاعديًا، خاليًا من الأخطاء والضعف والركة والتعقيد والغموض والانغلاق والتكلف.

وكالرسالة والخطبة يكون للمقال خطة يسير عليها، وأجزاؤها: المقدمة والعرض، والخاتمة. والمقدمة يجب أن تكون موجزة تمهد للعرض، وترتبط به دون تكلف، وتهدف إلى شد القراء لما يرد في العرض، فهى بالنسبة للمقال كالمقدمة الموسيقية بالنسبة للأغنية.

أما العرض فهو الجزء الرئيسي من المقال، لذلك يكون مفصلاً معتمدًا على الأدلة والبراهين.

وتأتي الخاتمة نهاية للمقال، ملخصة النتائج التي وصل إليها الكاتب.

وهذا «التجزيء» إنما هو تجزيء صناعي يقصد به الشرح والتوضيح. أما واقع المقال فيقرر أنه بناء متكامل، ومعمار متماسك لا انفصام بين أجزائه.

ويرى الشهيد سيد قطب -رحمه الله- أن المقال فكرة قبل كل شيء وموضوع: فكرة واعية، وموضوع معين يحتوي قضية يراد بحثها، قضية تجمع عناصرها وترتب بحيث تؤدي إلى نتيجة معينة، وغاية مرسومة من أول الأمر، وليس الانفعال الوجداني هو غايتها، ولكن الاقتناع الفكري.

وهناك «الخاطرة»، وهي تشبه المقال، ولكنها ليست هو؛ إذ يغلب عليها الطابع الانفعالي لا الفكري. ويرى سيد قطب -رحمه الله- أنها في النثر تقابل القصيدة الغنائية في الشعر، وتؤدي وظيفتها في عرض التجارب الشعورية التي تناسبها[(١)].

فالمقال يغلب عليه الموضوعية والعقلانية، وقوة الحجة والتدليل، أما الخاطرة فيغلب عليها -كما ذكرنا- الطوابع النفسية الانفعالية، بصرف النظر عن الجانب الكمي.

ولكن العرف يجري من عشرات السنين -خصوصًا في مجال الصحافة- على إطلاق كلمة «الخاطرة» على ما ينشر في كتاب أو صحيفة في مساحة عمود أو بعض عمود، ويعالج لقطة من الحياة في شتى المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وغيرها، كالذي يكتبه أنيس منصور وإبراهيم نافع وأحمد سلامة ومكرم محمد أحمد في الأهرام، وكالذي يكتبه علي أمين ومصطفى أمين في الأخبار.

كما أن «الخاطرة» تستعمل أحيانًا بمفهوم قريب جدًّا من مفهوم «المقال»، كما نرى في كتاب «خواطر من وحي القرآن» للإمام الشهيد حسن البنا[(٢)].

المقال عند الإمام الشهيد

ترك الإمام الشهيد مئات من المقالات التي كانت تنشر في صحف الإخوان وغيرها. وله خاطرات موجزة جدًّا كالخاطرات الصحفية التي أشرنا إليها. نكتفي بواحدة منها بعنوان «طبائع النفوس»، وهي من القصاصات التي كتبها، وهو في الإسماعيلية، ونصها:

«لم يصارحني بما تم بينه وبينه بشأن الإنفاق في مشروعهما التجاري، وقد كنت أظن أنه قد برئت نفسه من حب المادة، وهذا الأسلوب الذي يعتمد على اللف والدوران، فإذا بقاياه لا تزال عالقة به. ذلك لا يؤيسني من إصلاحه، ولكنه يجعلني أعتقد أن تطهير النفوس من أدرانها أشق عمل في الحياة، ويذكرني بقول شوقي:

وشافي الناس من نزعاتِ شرٍّ ... كشافٍ من طبائعها الذئابا

ويجعلني أتريث كثيرًا في الثقة بالناس إلا بعد تمام الخبرة[(٣)].

---

(١) ارجع إلى سيد قطب: النقد الأدبي أصوله ومناهجه، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثامنة، ٢٠٠٣، ص(١٠٥-١١٧)- والشامل، ص(٨٨٨-٨٨٩)- ومعجم مصطلحات الأدب، ص(٩٨، ١٥٠، ١٦٣، ٢٥١، ٤١٧)- والموسوعة العربية الميسرة، دار الشعب، القاهرة، ١٩٦٥، (١٧٢٩).

(٢) الكتاب نشرته دار الدعوة في الإسكندرية، ٢٠٠٥.

(٣) مذكرات الدعوة والداعية، ص(١٧٤).

كما ترك الإمام الشهيد ما يمكن أن نسميه «الرسائل المقالية»، والمقصود بـ«الرسالة المقالية» تلك التي نشرت ابتداء في شكل مقالات ذات وحدة موضوعية، ثم تجمع بعد ذلك في رسالة، كرسالة «هل نحن قوم عمليون»، وهي تجمع المقالات الآتية:

رد على الشبهات- للغيورين من أبناء الإسلام- مؤسسات ومشاريع- إعداد الرجال- تحديد الوسيلة واعتماد المبدأ- منزلة الصلاة- الزكاة- الجهاد عزنا- حق القرآن- منهج الإخوان وميزانهم[1].

وكتب الإمام الشهيد آخر سنة تخرجه في دار العلوم (سنة ١٩٢٧) في موضوع نصه: «اشرح أعظم آمالك بعد إتمام دراستك، وبيّن الوسائل التي تعدها لتحقيقها».

وقد جمع ما كتبه الإمام في هذا «الموضوع الإنشائي» بين ملامح المقال وسمات الخاطرة: ففيه دقة التقسيم، والانتظام الفكري، وعمق التحليل، كما أنه لا يخلو من الطوابع الذاتية الوجدانية[2].

وترك الإمام كذلك ما يمكن أن نسميه الكتب المقالية، وأعني بالكتاب المقالي: الكتاب الذي يتكون من مقالات نشرت في الصحف، ثم جمعت بعد ذلك في كتاب واحد لاشتراكها في موضوع أساسي واحد مثل كتاب «عظات وأحاديث منبرية»[3]، وكتاب «المناسبات الإسلامية»[4].

ومثل هذه الكتب المقالية تختلف في منهجها وطابعها عما وضع أصلاً كتابًا متكاملاً، وهو ما سماه سيد قطب: «البحث الطويل»؛ إذ يتناول الموضوع من جوانبه المتعددة، بتسلسل خاص، يجعل كل فصل أو عدة فصول مقدمات لنتائج متدرجة تصل إلى نهايتها في نهاية الكتاب... فكل فصل فيه يعالج جزءًا من الفكرة، ويصلح مقدمة للفصل الذي يليه، وجميع فصوله متعاونة[5].

ومقالات الإمام الشهيد تختلف -من ناحية الكم- باختلاف الموضوع من ناحية، وطبيعة الصحيفة وتوجهها من ناحية أخرى؛ فالمقالات التي تعالج الموضوعات والمواقف

---

(١) مجموعة الرسائل، ص(٣٤٩-٣٨٥). وقد نشرت تباعًا بجريدة الإخوان ابتداء من العدد (١٤)، ٢٨ من ربيع الآخر ١٣٥٣. ثم الأعداد: (١٥، ١٦، ١٧، ١٨، ٢١، ٢٢، ٢٤، ٢٦، ٢٧).

(٢) مذكرات الدعوة والداعية، ص(٧٢-٧٤).

(٣) نشرته دار الدعوة بالإسكندرية، ٢٠٠٤، جمعة أمين عبد العزيز.

(٤) نشرته الدار السابقة، ٢٠٠٦، جمعة أمين عبد العزيز.

(٥) النقد الأدبي، ص(١١٧).

السياسية والاجتماعية اليومية أو الطارئة تكون موجزة مباشرة، وفي الصحيفة اليومية لا تستغرق إلا جزءًا من الصفحة. هذا غير الموضوعات التي تعالج موضوعات العقيدة والفقه والدعوة وسبل الإصلاح. فما كان ينشر في جريدة الإخوان اليومية تكون موجزة سهلة واضحة مباشرة، كما ذكرنا آنفًا، بينما نجد أن المقالات التي كان الإمام ينشرها في مجلات النذير، والشهاب، والفتح تطول حتى يكاد كثير منها أن يكون بحثًا صغيرًا أو متوسطًا، وكأنه فصل في كتاب.

ونقدم في السطور الآتية الصحف والمجلات التي كانت تنشر مقالات الإمام الشهيد، وتمثل فكر الجماعة تبعًا لتاريخ صدورها:

أولاً: جريدة الإخوان المسلمين الأسبوعية:

ظهر العدد الأول منها في ٢٢ صفر ١٣٥٢هـ- الموافق ١٥ يونيو ١٩٣٣، وظلت تصدر باسم الإخوان حتى العدد ٦٨ من السنة الخامسة في ١٢ من رمضان ١٣٥٧- الموافق ٤ من نوفمبر ١٩٣٨.

وكان الإمام يكتب فيها نوعين من المقالات: النوع الأول: هو ما كان يكتبه في القسم الديني من المجلة كالتفسير والعقائد والفقه والفتاوى والتصوف والأخلاق، وعظة المنبر وغيرها. وتميزت تلك المقالات بوحدة موضوعها، وترتيب أفكارها وتسلسلها.

أما النوع الثاني: فكان في موضوعات عامة سياسية واجتماعية وأخلاقية حسب المناسبات والأحداث التي تمر بها مصر، أو العالم الإسلامي في ذلك الوقت.

بالإضافة إلى أنه كان يكتب غالبًا افتتاحية المجلة، وعادة ما كان يخصصها لتوجيه الإخوان في الموضوعات الدعوية، والتي منها «إلى أي شيء ندعو الناس»، و«دعوتنا» .. إلى غير ذلك من الموضوعات التي جمعت في كتاب «رسائل الإمام الشهيد».

وهذا النوع من المقالات يتسم بتنوع موضوعاته، وعدم تسلسلها إلا القليل، وارتباطه بالمناسبات والأحداث الطارئة في المجتمع أو العالم، أو لحاجة الإخوان والدعوة.

ثانيًا: مجلة النذير:

صدر العدد الأول في ٣٠ من ربيع الأول ١٣٥٧هـ- الموافق٣٠ من مايو ١٩٣٨.. وكان آخر عدد للنذير صدر معبرًا عن الإخوان في ٢٨ ذي القعدة ١٣٥٨هـ- الموافق ٨ من يناير١٩٤٠.

وكان الإمام الشهيد الذي كتب فيها ما يربو على ثمانين مقالاً أكثر احتفاء واهتمامًا بالجانب السياسي والاجتماعي.

ثالثًا: مجلة المنار

وهذه المجلة أصدرها الشيخ رشيد رضا في ١٥ من مارس سنة ١٨٩٨، واستمرت في الصدور حتى توفي -رحمه الله- في ٢٢ من أغسطس١٩٣٥.

وبعد توقف المجلة استجاب الإمام الشهيد لإلحاح أسرة الشيخ وتلاميذه ومحبيه بتولي مسئولية إصدار المنار، فأخرجها في نفس المستوى العلمي والثقافي الذي كانت تصدر به في عهد صاحبها.

وقد صدر العدد الأول برئاسة تحرير الإمام البنا في غرة جمادى الآخرة ١٣٥٨هـ- الموافق ١٨ من يوليو ١٩٣٩م.

واستمر الإمام البنا في تفسير القرآن الذي بدأه الشيخ رشيد رضا بالمجلة، والذي كان قد توقف عند سورة يوسف. ومن هنا بدأ الإمام بتفسير سورة الرعد[1].

علمًا بأنه كان يقوم بتحرير معظم موضوعات المجلة تقريبًا؛ حيث كان يكتب الافتتاحية، وباب تفسير القرآن، وفتاوى المنار، وموقف العالم الإسلامي السياسي، والمرأة المسلمة.

وظلت المجلة على هذا النهج إلى أن صودرت وتوقفت عن الظهور بعد عدد شعبان ١٣٥٩هـ- سبتمبر ١٩٤٠.

رابعًا: مجلة التعارف

بعد ابتعاد «النذير» عن الطابع الدعوي الإخواني، استأجر الإخوان مجلة «التعارف»، وذلك في ٢٣ من المحرم ١٣٥٩هـ- الموافق ٢ من مارس ١٩٤٠، وكان الإمام البنا يقوم بتحرير بعض الافتتاحيات إضافة إلى باب «صحيفتنا الفقهية»، ومقالات أخرى توضح رؤية الإخوان للإصلاح السياسي والاجتماعي في ذلك الوقت.

ولكن المجلة صودرت وتوقفت في شعبان ١٣٥٩هـ- الموافق ٧ من سبتمبر ١٩٤٠، بعد مضي ما يقرب من سبعة أشهر من استئجار الإخوان لها.

خامسًا: مجلة الإخوان المسلمين نصف الشهرية:

بعد توقف دام سنتين تقريبًا لصحف الإخوان سمحت حكومة الوفد للإخوان بصدور مجلتهم، وصدر العدد الأول من المجلة نصف شهري في ١٧ من شعبان ١٣٦١هـ الموافق ٢٩ من أغسطس ١٩٤٢، ثم أصبحت المجلة أسبوعية من العدد الخامس والستين

---

(١) ارجع إلى تفسير: «نظرات في كتاب الله» للإمام الشهيد حسن البنا، جمعه وعلق عليه وحققه: عصام تليمة، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ٢٠٠٢، ص(٣٤١-٤١٨).

في السنة الثالثة ١ من رمضان ١٣٦٤هـ- الموافق ٩ من أغسطس١٩٤٥، ثم صودرت بعد صدور العدد ٢٢٤ للسنة الرابعة في ٣ من صفر ١٣٦٨هـ- الموافق ٤ من ديسمبر ١٩٤٨، عندما صدر قرار حل جماعة الإخوان، ومصادرة جميع ممتلكاتها في عهد وزارة النقراشي.

وكتب الإمام البنا بها أكثر من مائة مقال في مختلف القضايا الشرعية والفكرية والاجتماعية والسياسية والدعوية تحت عنوان: «من أهداف الدعوة».

سادسًا: جريدة الإخوان المسلمين اليومية

صدر العدد الأول منها في ٣ من جمادى الآخرة ١٣٦٥هـ الموافق ٥ من مايو ١٩٤٦م، وتمت مصادرتها، وكان آخر عدد صدر منها في ٢ من صفر ١٣٦٨هـ- الموافق ٣ من ديسمبر ١٩٤٨. بعد أن صدر منها ٧٩٤ عددًا.

وقد كتب الإمام الشهيد فيها ما يزيد على ٣٧٠ مقالاً في كل القضايا، الشرعية والإيمانية، والسياسية والاجتماعية، وكذلك سلسلة من المقالات بعنوان: «نحن» ، ليبين دعوة الإخوان المسلمين، وعلاقتها بالهيئات، والمؤسسات الأخرى، ورؤيتها في إصلاح المجتمع.

سابعًا: مجلة الشهاب

أصدرها الإمام الشهيد في غرة المحرم ١٣٦٧هـ- الموافق ١٤من نوفمبر ١٩٤٧، وكانت المجلة حافلة بالبحوث والمقالات العلمية المهمة للإمام البنا وآخرين من العلماء والمفكرين في شتى المجالات. ولم يصدر من المجلة إلا خمسة أعداد، آخرها صدر في غرة جمادى الأولى ١٣٦٧هـ- الموافق ١٢ من مارس ١٩٤٨.

ثامنًا: مجلة الفتح

وهي مجلة إسلامية علمية أخلاقية أصدرها محب الدين الخطيب في ٢٩ من ذي الحجة ١٣٤٤هـ- الموافق١٠ من يونيو١٩٢٦، وظلت تصدر لمدة ٢٤ عامًا، ثم توقفت عام ١٣٦٨هـ-١٩٤٩م، بفعل صاحبها بعد أن رأى ما أنزله أعداء الإسلام بالإخوان من محن.

وقد أفسحت المجلة للإمام البنا المجال للكتابة فيها، فكتب ما يزيد على ٢٣ مقالاً في الدعوة إلى الله، والسبيل إلى الإصلاح الاجتماعي والسياسي والاقتصادي وغيرها من القضايا، وأغلب هذه المقالات نشر عامي ١٩٢٨، ١٩٢٩[١].

وبعد العرض السابق نخرج بعدد من الحقائق أهمها:

---

(١) عن الكتاب الأول من سلسلة: تراث الإمام البنا [جمعة أمين: العقيدة والحديث، دار الدعوة، الإسكندرية، ٢٠٠٤، ص(١٢-١٩). وكررت في الكتب الأربعة التالية: التفسير- من وحي القرآن- الفقه والفتوى- عظات وأحاديث منبرية].

١) أن الصحافة أخذت من اهتمام الإخوان الكثير، كوسيلة دعوية وتثقيفية ذات تأثير كبير، كالخطب والمحاضرات.

٢) أن هذه الصحف تنوعت في توقيت صدورها ما بين شهرية، ونصف شهرية، وأسبوعية، ويومية.

٣) أن أغلب هذه الصحف تعرضت للتوقف، أو لامتناع الإخوان والإمام الشهيد عن الكتابة فيها، لخروجها عن الخط الإخواني، ولكن أشد ما واجهته هو المصادرة الحكومية لأسباب سياسية.

٤) كان الإمام الشهيد هو صاحب الحظ الأوفى في كتابة المقالات والبحوث في هذه الصحف، ويُشهد له أنه كان يقوم بتحرير معظم موضوعات مجلة «المنار» كـ: الافتتاحية، والتفسير، والفتاوى، وقضايا العالم الإسلامي، والمرأة المسلمة.

٥) كان الهدف الأساسي لهذه المقالات الانتصار للقيم والمبادئ الإسلامية، ونشر دعوة الإخوان، وتربية النشء والشباب على درب السلف الصالح.

وقد كان لهذه المقالات آثار طيبة في تربية الإخوان وتوجيههم، وتنمية معارفهم على الرغم من الصعوبات والعقبات التي كانت تعترضها.

. وأذكر أن بعض دور التوزيع كانت تصدر إليها أوامر سلطوية بالامتناع عن توزيع الصحف الإخوانية، فكان الإخوان يقومون بتوزيعها بأنفسهم، في المدن والقرى، وقد كان لي -وأنا ناشئ في حقل الدعوة- شرف المساهمة في هذا العمل النبيل.

وعودًا على بدء نذكر القارئ بأن الإمام الشهيد قد عالج كل أنواع المقال، فكتب المقالات الدينية والتاريخية والتربوية والسياسية والوطنية والنقدية، بأسلوب جمع بين الوقار العقلي، والتوهج العاطفي.

والذين كتبوا عن فن المقال عند الإمام الشهيد أغفلوا هذا النوع الأخير: المقال النقدي، وقد يرجع ذلك إلى قلة هذا النوع، وغلبة الأنواع الأخرى لقوة اتصالها بالعمل الدعوي.

وما بين يدي من مقالات نقدية ينم على قدرة فائقة على الحكم والتقييم، ويملك الإمام ذائقة رفيعة في التعامل مع النصوص، فهو يجمع بين العقل والوجدان في التقييم النقدي، وكل أولئك قاده إلى الموضوعية والإنصاف، ففي نقده لكتاب «حياة محمد» للدكتور محمد حسين هيكل[1].. يقول: «وظهر في عالم التأليف كتاب «حياة محمد ﷺ» وأخذ دوره من التقريظ والنقد، والإعجاب والتقدير، والإطراء والتكريم، ولنا حول هذا الكتاب حيث نحب

---

(١) جريدة الإخوان المسلمين الأسبوعية، العدد (٦)، السنة الثالثة، ٨ من صفر ١٣٥٤- ٢١ من مايو ١٩٣٥م.

قبل أن نعالجه أن يعلم الدكتور نفسه، والقارءون معه أننا سنعالجه على ضوء الشعور البريء الخالي من التأثير بأية عاطفة إلا عاطفة الوصول للحق، والحق أسمى مطالب المخلصين».

وفي ختام نقده، وحرصًا على الوصول إلى اليقين -يوجه لهيكل الأسئلة الآتية:

١) ما رأي الدكتور الفاضل في المعجزات: ماهيتها وثبوتها، وأمثلتها؟

٢) وما رأي الدكتور في حجية الحديث؟ وهل يرى حضرته أن كلام الفنيين من علماء الحديث الأثبات حجة في الفن يعتمد عليها، ويصار إليها؟

٣) هل كان الدكتور متأثرًا حين الكتابة بملاحظة ضرورة إقناع المستشرقين، ومن حذا حذوهم من الشرقيين بعظمة النبي ﷺ، أم كان مقصده أن يسير مع البحث إلى أية نتيجة أدى إليها؟

وعلى هذا النهج يمضي الإمام الشهيد في نقده للكتب وأصحابها: كنقده لكتاب «لسان المنبر» للأستاذ محمود طيرة خطيب مسجد الجوهري، وقد اعتبره «فتحًا جديدًا في الوعظ والإرشاد، إنه المعنى الجامع والسهل الممتنع، قول فصل، ولفظ جزل، وعبارة سلسة رقراقة، يجد فيها الأديب روعة الأدب، ويجد فيها العادي تأثير العظة، فنحن أمام صورة حية من صور المجتمع، تمثل لك الداء والدواء، وتصنف تلك الحياة في ثوبها السعيد البهيج، والشقي المؤلم، مع بيان السبيل إلى كل منها، لتعمل على الأول، وتتجنب الثاني... »[1].

ويربط بين شعر محمد حسن النجمي، ومحمد صادق عرنوس، وبين الإسلام ومتطلباته.. وهو شعر يتجلى خلاله صدق الإيمان، وقوة الشعور والإحساس. أي أنه شعر رسالي ملتزم، يحرص على أداء دوره الإنساني الحيوي على أكمل وجه[2].

وللإمام مقالان طويلان عن التجديد في الأدب العربي[3] عالجا الأفكار الرئيسية الآتية:

- ضرورة التجديد تمشيًا مع روح العصر.

- كلمة قيمة لابن قتيبة «لم يقصر الله الشعر والعلم والبلاغة على زمن دون زمن، ولا خص قومًا دون قوم، بل جعل ذلك مشتركًا مقسومًا، مثل القدماء والمحدثين كمثل رجلين ابتدأ هذا بناء فأحكمه، وأتقنه، ثم الآخر فنقشه وزينه».

---

(١) جريدة الإخوان المسلمين الأسبوعية، العدد (١٦)، السنة الثانية، ١٣ جمادى الأولى١٣٥٣-٢٤ من اغسطس١٩٣٤.

(٢) جريدة الإخوان المسلمين الأسبوعية، العدد (٩)، السنة الأولى، ١٨ من ربيع الآخر ١٣٥٢هـ- ١٠ من اغسطس١٩٣٣.

(٣) الأولى في الجريدة الأسبوعية، العدد(١)، السنة الأولى، ٢١ من صفر ١٣٥٢- ١٥ يونيو١٩٣٣- والثاني في العدد (١٥)، غرة جمادى الآخرة، ١٣٥٢-٢١ من سبتمبر ١٩٣٣.

- مما يؤسف له أن نلاحظ أن المتصدرين لمهمة تجديد الأدب العربي من رجال المدرسة الحديثة -كما يلقبون أنفسهم- سلكوا إلى هذه الغاية سبلاً لا تؤدي إليها، ولا تفيد فيها، ومن هذه السبل:

١) الإسراف في التقليد الأوروبي، والإعجاب بأدب الغرب إعجابًا جعلهم ينصرفون عن محاسن لغتهم.
٢) الغلو في التشكك، واتخاذ الفروض حقائق مسلمة تبنى عليها نتائج ثابتة، لتنقض آراء الأقدمين.
٣) الزراية على الأسلاف، وإظهارهم للناشة والمتأدبين بمظهر الأغرار.
٤) التستر بحرية البحث، واحترام الفكر، والتوصل بذلك إلى هدم العقائد الأدبية الثابتة.
٥) التحلل من قواعد الأخلاق، والعناية بكل ما يتصل بالإباحة والمجون والخلاعة والمتعة.
٦) الإبهام والغموض.

هذا هو التجديد المدمر الهدام؛ لذلك يجب أن يعتمد تجديدنا على أصول صحيحة مثمرة أهمها:

١) الابتكار في الأغراض والمعاني والأخيلة والأساليب، ارتباطًا بالحياة وتمثيلاً لها.
٢) تمجيد السلف، والاعتراف بفضلهم وجهودهم.
٣) نزاهة البحث، والابتعاد عن الهوى والشبهات.
٤) كمال الاستقراء، وحسن الاستقصاء، مع صدق النية في الوصول إلى الحقيقة.
٥) خدمة الأخلاق والفضيلة بالأدب بقدر خدمته للفن والعاطفة.

وقد أخذ الإمام نفسه بهذا النوع السوي من التجديد، ولم يكتف بالدعوة النظرية إليه، ولكنه جعل المقال الثاني دراسة تطبيقية بعنوان «التجديد في الأدب العربي: الانتقال الأول من الجاهلية إلى الإسلام»، عالج فيه أفكار رئيسية أهمها:

- تأثر اللغة بظروف الأمة.
- من مظاهر التجديد قديمًا.
- شواهد من نصوص القدامى، مثل المرقش الأكبر عمرو بن سعد في الحماسة

والفخر بقومه، وطرفة بن العبد في وصف السفينة، والأعشى في الاعتذار، وذي الإصـبع العدواني في وصيته لابنه أسيد.

الفصل الخامس: القصة

من التعريفات الموجزة الجامعة للقصة أنها حادثة أو مجموعة حوادث تجري لشخصية أو عدة شخصيات تختلف أساليب عيشهم، وأنماط تفكيرهم اختلافها على أرض الواقع، يعيشون في بيئة مناسبة زمانًا ومكانًا، وتعرض القصة بأسلوب نثري، وتوضح نظرة الكاتب وآراءه[1].

ويقسم سيد قطب العمل القصصي إلى: رواية، وقصة، وأقصوصة، وهو ترتيب تنازلي تبعًا للطول[2].

فالأقصوصة تدور على محور واحد، في خط سير واحد، ولا تشمل من حياة أشخاصها إلا فترة محدودة، أو حادثة خاصة، أو حالة شعورية معينة، ولا تقبل التشعب والاستطراد إلى ملابسات كل حادث، وظروف كل شخصية، إذا كان ذلك يوجه النظر بعيدًا عن الشخصية الأساسية أو الحالة الأساسية[3].

فالأقصوصة هي أقصر الأعمال القصصية، والرواية أطولها، والقصة تكون وسطًا بين الرواية والأقصوصة، وإن كنا نرى أننا يمكن اعتمادًا على معيار الطول أن نضيف نوعًا رابعًا يأتي بين القصة والأقصوصة هو القصة القصيرة، فيكون الترتيب على النحو التنازلي التالي: الرواية- القصة- القصة القصيرة- الأقصوصة. (Novel- Story- Short story- Short Short story)

وهناك من النقاد من يأخذ -في التعرف إلى هذه الأنواع- بالتحديد الكمي الصارم، فيرى أن القصة القصيرة -على سبيل المثال- لا تزيد على عشرة آلاف كلمة[4].

ولكننا نرى أن الازدواجية المعيارية -كمًّا وكيفًا- هي الأجدر والأدق في تحديد مفهوم العمل القصصي.

هذا، وبالنظر إلى المحور الأساسي للعمل القصصي وهدفه، أو غايته، يمكن أن يصنف في الأنواع الآتية:

١- قصة الحدث. ٢- قصة الشخصية. ٣- قصة المغزى.

---

(١) الشامل، ص(٦٧١).

(٢) النقد الأدبي: أصوله ومناهجه، ص(٩٣).

(٣) السابق، ص(٩٤)، ومعجم مصطلحات الأدب، ص(٥١٨).

(٤) الموسوعة العربية الميسرة، ص(١٣٨٣).

فالأولى تهدف -بمنهج فني- إلى تصوير واقعة سياسية، أو اجتماعية، أو تاريخية.

والثانية تهدف إلى تقديم شخصية ذات أبعاد يحرص القاص على أن يعيشها القارئ حبًّا واعتزازًا، أو كراهية ومقتًا.

والثالثة تحرص على إبراز قيم أخلاقية أو دينية، أو تربوية سلوكية؛ لذلك كانت هي أنسب الأنواع للتلاميذ في مجال التربية والتعليم.

وما كتبه الإمام الشهيد يصدق عليه -مع شيء من التجاوز- وصف «الأقصوصة»، فالواحدة لا تتعدى الصفحتين، وهي من النوع الثالث الذي يهدف لتحقيق أهداف نبيلة، وغرس قيم راقية، حتى إن إحداها صُدِّرت صراحة بالعبارة الآتية:

«يراد من نشر هذه المحادثات إثارة أذهان الشعب في موضوعات الوطنية، وتثقيفه إلى درجة ما في شئون السياسة العامة للأمة، مع ربط النظريات الحديثة بالفكرة الإسلامية دائمًا، وبيان فضل الثانية على الأولى»[1].

وغير «عم سيد» و«فوق المصطبة» كتب الإمام الشهيد من الأقاصيص «حديث الجمهور» في جزأين[2].

وقد أشرنا آنفًا إلى أنها كلها -دون استثناء- من أقاصيص المغزى، أي أن طرح القيم الإنسانية والإسلامية والخلقية يحتل المكانة الرئيسية الأولى، ولو جاء ذلك على حساب الملامح والطوابع الفنية أحيانًا، وأهم هذه الطروحات:

١) النشء هم نبتة اليوم، وشجرة المستقبل، لذا كان على الأمة أن تهتم به، وتربيه على القوة، والصبر، والمصابرة، وعزة النفس، واستعلاء الإيمان.

٢) الاعتزاز بالإسلام -عقيدة وعملاً- هو السبيل الأقوم لتحقيق القوة الذاتية، والنهوض، والنصر في شتى المجالات.

٣) حب الوطن والعمل له من أهم ملامح المسلم الحق الصادق الأمين.

٤) هلاك الأمم والدول رهين بسقوطها الخلقي، وتخليها عن قيم دينها، والاستجابة للمغريات، والمفاسد، واللهو، والمتع الحرام.

---

(١) فوق المصطبة: النذير، العدد (١)، السنة الأولى، ٣٠ من ربيع الأول ١٣٥٧- ٣٠ من مايو ١٩٣٨. وانظر آخر فقرة من أقصوصة «عم سيد»: جريدة الإخوان المسلمين الأسبوعية، العدد (٩)، السنة الأولى، ١٨ من ربيع الآخر ١٣٥٢- ١٠ من أغسطس ١٩٣٣.

(٢) جريدة الإخوان المسلمين الأسبوعية، العدد (١)، السنة الثانية، ١٩محرم ١٣٥٣هـ- ٤مايو ١٩٣٤م، ص(٢٧-٢٨).

٥) اليأس هو أعدى أعداء الإصلاح والنهوض والتقدم، وعلى المسلم أن يكون آملاً في الله، ثابت القلب، قوي العزيمة، متفتحًا للحياة، عاملاً -في جد وصدق- لما يصلح الأمة، وينهض بها.

٦) المراء لا يأتي بخير، وإذا ناقش المسلم غيره، وجب أن يكون ذلك بحثًا عن المعرفة والحقيقة بسماحة وطيب نفس.

٧) فساد الحاكم وتسلطه على الرعية ظالمًا مستبدًا يُشرك الرعية في المسئولية إذا ما استسلمت لهذا الظلم، ولم تتصدّ له بالمقاومة، أو الهجرة إلى أرض عدل وحرية، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء:٩٧].

وشخصيات هذه الأقاصيص «شخصيات مسطحة» يدرك القارئ أبعادها في سهولة ويسر دون حاجة إلى تعمق واستبطان، وهي من الشخصيات التي لها وجود في المجتمع المصري، وخصوصًا البيئة الريفية، وهي مجرد آلية لإبراز القيم الدينية والخلقية.

فعمّ سيد -في القصة التي عرضت باسمه- يمثل شخصية واعية للرجل الطاعن في السن، الخبير بتجارب الحياة في صورتها التلقائية العفوية، فهو يتسلى، ويُسلي الآخرين بالحكايات النافعة، دون البحث عن حظها من الصدق التاريخي.

والغلام الأندلسي نموذج للصبي المسلم الذي تكثفت فيه قيم الإسلام من عزيمة وإصرار.

و «كامل» نموذج للعامل المسلم الأمين الذي يهزم بقيمه الروح الاستعماري المنهوم المتمثل في شخصية «الخواجة».

والشيخ «علي» نموذج للأخ المسلم البسيط الذي تفيض نفسه بالأمل في الإصلاح والتقدم، إذا ما تمسكنا بالعقيدة والقيم الخلقية.

وهناك الشخصيات النقيض: سيد أفندي، والشيخ صالح، وعم إبراهيم، وهم يمثلون صوت الاكتئاب، واليأس من الإصلاح بعد أن عم الفساد.

ثم حضر الجلسة التالية شيخ يدور في الفلك نفسه هو الشيخ عبد السلام الذي يحرص على الجدل والمراء، حرصًا منه على حيازة غلبة وانتصار على من يتصدى له، وليس من همه الوصول إلى الحقيقة. وليس هناك واقعة -في المعروض القصصي- تشد

النظر؛ لأن أغلبها جلسات مكررة يستغرقها الحوار، والحوار ذو طابع واقعي، لا مجال فيه للتزين والتنميق التعبيري.

وهذه الأقاصيص تعتمد في أدائها التعبيري على الحوار، والمعروف -نقديًا بصفة عامة- أنه يقوم برسم الشخصيات، وإبراز أعماقها الدفينة، وأحاسيسها الكامنة، وخلق التلاحم بين الشخصيات، كما يقوم بخلق التفاعل بين الشخصيات والأحداث وتطويرها.

ويجب أن يؤدى الحوار بلغة تناسب الشخصيات في مستواها العلمي والاجتماعي والنفسي. والحوار في هذه الأقاصيص يؤدّى بلغة سهلة واضحة، وبأسلوب عربي ليس فيه كلمة غريبة واحدة، ولكنه -وهذا عيب من عيوبه في نظري- لا يخلو من عبارات عامية مثل العبارات التي جاءت على لسان المعلم صالح «.. يا عم الشيخ علي، اعمل معروف، جمعية إيه؟ وجريدة إيه؟ همّ الناس في هذه الأيام نافع فيهم وعظ أو كلام أو جمعيات..».

ومما جاء على لسان سيد أفندي «هو ما فيش إلا البنات والحفلات؟ ما هيّ الدنيا كلها صارت فساد.. »[1].

ولكن الحوار -إذا استثنيا العبارات العامية- يمضي بأسلوب عربي سهل دارج، متفاعل مع طبيعة الشخصيات والبيئة. وأعمق وأدق ما نلقاه من حوار هو ما دار بين الشيخ علي والشيخ عبد السلام وموضوعه الفرق بين النقاش الهادف والمراء من أجل إحراز التغلب والنصر.. ومما جاء في هذا الحوار:

«فالنبي ﷺ نهانا عن الجدل والمراء في الدين،
وغضب على أولئك الذين كانوا يتجادلون غضبًا
شديدًا.. فأنا لهذا أكره الجدل، وأنفر من
المناقشات التي تدور حول المراء، وذلك
كثيرًا ما يؤدي إلى الخلاف والبغضاء، وإفساد
ذات البين، وإنما هلك السابقون باختلافهم
وتباغضهم».

فقال الشيخ عبد السلام:

«هذا كلام غريب يا شيخ علي، وما الفرق بين

---

(١) من أقصوصة «حديث الجمهور».

المناقشة للجدل، وبين المناقشة للتفاهم؟ أو
ليس كل هذا جدل وخلاف»؟
فقال الشيخ علي:
«يا عزيزي الشيخ عبد السلام، الفرق بينهما
عظيم؛ فإن كنت تناقشني للتغلب علي بالحق
أو الباطل، وتقصد بذلك
أن تظهر أمام الإخوان، وتغضب
إذا رأيت الحق في غير صفك فهذا الجدل
الممقوت. وإذا كنتَ تقصد الوصول
للحق فقط سواء أكان معي أو معك،
وتملك نفسك فلا تغضب، ويتسع صدرك
لذلك، وتمشي مع الدليل بدون مكابرة،
فهذا هو النقاش للوصول للفهم، وهو لا
بأس به، أفليس الفرق بينهما عظيمًا أيها
الأخ المفضال؟... »[1]

ولم يعدم الحوار عبارات تراثية شعبية، وهي قليلة مناسبة لوقائع الأقصوصة التاريخية، وبيئتها الأندلس، وهي عبارات تكثر في القصص الشعبي التاريخي كقصص «ألف ليلة وليلة»، فجاء في أقصوصة «عم سيد»:

«وكان لهم (لأهل الأندلس المسلمين) أعداء بجوارهم من الكفار، فأرادوا أن يأخذوا بلادهم، ويستولوا على ملكهم، فنادى الملك وزيره وقال: دبرني يا وزير، فقال له: لبيك يا ملك الزمان..»

وهذه الأقاصيص -كما أشرت- تعيش في الواقعية الاجتماعية حيث بيئة الريف بعاداتها وتقاليدها، ولكن بصمات بيئة منطقة القناة حيث كان الاستعمار الإنجليزي يضرب أطنابه، وكان عسكر الإنجليز، وكبار موظفيهم يتحكمون في العمال المصريين، وينظرون إليهم نظرة السيد إلى المسود، وقد رأى الإمام الشهيد ذلك رأي العين؛ إذ إنه قضى في الإسماعيلية خمس سنين مدرسًا، بعد تعيينه بها مدرسًا في سبتمبر ١٩٢٧م.

---

(١) من الجزء الثاني من «حديث الجمهور».

والمفروض أن خاتمة الأقصوصة، وهي ما يسمى -بلحظة التنوير- يجب أن تبرأ من المباشرية والافتعال، وأن تكون نتيجة طبيعية للأحداث.

ولكن المباشرية والافتعال واضحان في خواتم هذه الأقاصيص، وخصوصًا أقصوصة «عم سيد» مما يبعدها إلى حد كبير عن طبيعة الفن القصصي، ويجعل منها ما يمكن أن نسميه «المقال القصصي». فتحقيق ما ترمي إليه هذه الأعمال من قيم دينية، وخلقية، وإنسانية وسلوكية هو همها الأول، ولو كان ذلك على حساب الفن القصصي وأصوله.

وعودًا على بدء نذكر أن أهم ما يتسم به العمل القصصي في أدبيات الإمام الشهيد:

١) القصر والإيجاز.

٢) الواقعية الاجتماعية: فشخوصها -غالبًا- من البيئة المصرية، وإن شئت فقل: إنها من الشخصيات اليومية التي يقابلها الإنسان، ولا يخلو منها أي مجتمع، ومن ثم لم تكن غريبة على المتلقي.

٣) الاعتماد الأساسي على الحوار الهادف المنتج، حتى لتكاد تخلو من الحديث الأخاذ، وذلك على حساب التعقيد الفني، فالأقصوصة تمضي في انبساط حواري لإبراز قيم معينة، فكانت أشبه بالصورة القصصية الممتدة، وقد يصفها بعضهم بالمقال القصصي.

٤) وهي ليست من قصص الشخصية، أو قصص الحدث، بل هي من قصص المغزى التي وضعت لتحقيق هدف ديني وعقدي، أو سلوكي تربوي. ومن ثم كانت بهذه المضامين أنسب للناشئة والشباب.

الباب الثالث

من الطوابع والملامح الفنية

الفصل الأول: مراعاة المقتضى

مقتضى الحال -ويسمى الاعتبار المناسب: هو الصورة المخصوصة التي تورد عليها العبارة، مثلاً المدح حال يدعو لإيراد العبارة على صورة الإطناب، وذكاء المخاطب حال يدعو لإيرادها على صورة الإيجاز. فكل من المدح والذكاء حال، وكل من الإطناب والإيجاز مقتضى. وإيراد الكلام على صورة الإطناب، أو الإيجاز مطابقة للمقتضى[1].

والحال: هو الأمر الداعي إلى إيراد الكلام على صورة مخصوصة، سواء أكان ذلك الأمر الداعي ثابتًا في الواقع، أم كان ثبوته بالنظر لما عند المتكلم[2].

ولكن العرف البلاغي لا نقف طويلاً أمام المفهوم الحاد لمصطلح «مقتضى الحال» ومراعاته، ويكاد يوظفه مرادفًا لصفة «التناسب»، وهذا -في رأيي- أفضل وأجدى من الناحية العملية، فيجب أن يكون ابيان مناسبًا للمقام والموقف، وشخصية المخاطب، فلا يكلم الملوك بما يكلم به السوقة مدحًا أو هجاء؛ فالمرزباني يعرض للقصيدة التي يهجو البحتري فيها «المستعين بالله»، والتي مطلعها:

أعاذلتي على أسماءَ ظلمًا   وإجراءِ الدموع لها الغزارِ

يقول المرزباني: «وهذه الأبيات من أقبح الهجاء وأضعفه لفظًا، وأسمجه معنى.. وهي أيضًا خارجة عن طريقة هجاء الخلفاء والملوك المألوفة، وهي بهجاء سفلة الناس ورعاعهم أشبه، مع ما جمعت من سخافة اللفظة، وهلهلة النسج، والبعد من الصواب.. »[3].

وتثور في المباحث البلاغية -عن تقييم الأساليب- مسألة التفضيل بين الإيجاز والإطناب، فهناك من يرى أن البلاغة إيجاز، وأن خير الكلام ما قل ودل، وأن الزيادة في الحد نقصان[4]. وهناك من يفضل الإطناب على الإيجاز بدعوى أن المنطق «إنما هو بيان، والبيان لا يكون إلا بالإشباع، والشفاء لا يكون إلا بالإقناع، وأفضل الكلام أبينه، وأبينه أشد إحاطة بالمعاني، ولا يحاط إحاطة تامة إلا بالاستقصاء»[5].

---

(١) د. بدوى طبانة: معجم البلاغة العربية، دار المنارة، جدة، الطبعة الثالثة، ١٩٨٨، ص(٥٤٨).

(٢) السابق، ص(١٨٢)- وانظر: ص(٣٩٧)- وانظر: محمد التونجي: المعجم المفصل في الأدب، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣، (٢/ ٧٨٠).

(٣) المرزباني: الموشح، دار نهضة مصر، ١٩٦٥، ص(٥١٤).

(٤) انظر: أبو هلال العسكري: كتاب الصناعتين، القاهرة، ١٩٥٢، ص(٣٤).

(٥) السابق، ص(١٩٠).

والواقع أن المفاضلة بين الإيجاز والإطناب -بهذا الإطلاق- في غير محلها؛ لأنها تغفل في الموازنة عن عنصر مهم جدًا هو عنصر «المقام، أو المجال، أو المناسبة».

ونحن نرى في هذه المسألة ما يراه أبو هلال العسكري من أن الإيجاز والإطناب يحتاج إليهما في جميع الكلام.. ولكل واحد منهما موضع؛ فالحاجة إلى الإيجاز في موضعه كالحاجة إلى الإطناب في مكانه، فمن أزال التدبير في ذلك من جهته واستعمل الإطناب في موضع الإيجاز، واستعمل الإيجاز في موضع الإطناب أخطأ[1].

وكان النبي ﷺ في بيانه هو المثل الأعلى في هذه السمة: سمة مراعاة طبيعة الغرض ومقتضى الحال، فهو -على حد قول الجاحظ: «استعمل المبسوط (الإطناب) في موضع البسط، والمقصور (الإيجاز) في موضع القصر»[2].

فهو يستخدم الإطناب في معاهداته لما تحمله من حقوق وواجبات، كما نرى في صلح الحديبية[3]، وفي كتاب الموادعة الذي كتبه بعد هجرته من مكة إلى المدينة، ويمثل دستور عمل ومعايشة في المجتمع الجديد[4].

وهو ﷺ يستخدم الإيجاز في المقام الذي يقتضيه، فحينما بعث إليه مسيلمة الكذاب بكتابه الذي يدعي فيه النبوة، وأنه شريكه في الأرض، «ولكن قريشًا قوم لا يعدلون»، جاء جواب رسول الله ﷺ في سطرين «أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين»[5].

وحقق رسول الله ﷺ بهذا الإيجاز غرضين:

أولهما: الترفع عن الخوض في جدل عقيم مع رجل دعيّ، لا همّ له إلا الجاه والسلطان وأبهة الدنيا.

وثانيهما: تقرير الرد في صورة حقيقة عامة تعتبر جوهرًا من جواهر العقيدة الإسلامية، وهي أن «الأرض لله يورثها من يشاء»[6].

---

(١) السابق، نفس الصفحة.

(٢) الجاحظ: البيان والتبيان، دمشق، الطبعة الثانية، ١٩٦٣، (٢/ ٨).

(٣) المقريزي: إمتاع الأسماع، القاهرة، ١٩٤١، ص(٢٧٧-٢٩٥).

(٤) ابن هشام: السيرة النبوية، مصطفى الحلبي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م، (١/ ٥٠١-٥٠٤).

(٥) السابق، (٢/ ٦٠٠)- البلاذري: فتوح البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨، ص(٩٧).

(٦) انظر: جابر قميحة: أدب الرسائل في صدر الإسلام، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٦، (١/ ١٣٠).

بل قد يصل الإيجاز إلى درجة من التكثيف والتقطير، فتصبح الرسالة أشبه ما تكون بالبرقية، فقد كتب إلى عمه العباس بن عبد المطلب ما نصه: «إن مقامك بمكة خير»[١].

ومراعاة مقتضى الحال تعد الصفة الجامعة التي يستظل بها كل الملامح والسمات الفنية الأخرى، فوجودها مع تخلف هذه السمة الأساسية يعد وجودًا عبثيًا لانعدام التناسب والتوافقية بين الإبداع والأشخاص والبيئة المكانية والزمانية.

وكان الإمام الشهيد -رحمه الله- يأخذ نفسه بهذه السمة في خطبه، ومقالاته، ورسائله، وكذلك في أحاديثه العادية مع الآخرين، ونسوق فيما يأتي أمثلة تؤيد ذلك:

كان -رحمه الله- يلتزم أدب الحديث في رسائله، ويرعى مقام من يخاطبهم بهذه الرسائل، مستخدمًا الألقاب الخاصة بكل شخصية:

فهو يستهل رسالته إلى الملك فؤاد بقوله: «إلى سدة صاحب الجلالة الملكية، حامي حمى الدين، ونصير الإسلام والمسلمين، مليك مصر المفدى... »[٢].

وفي أكتوبر ١٩٣٩ -بعد إعلان الحرب العالمية بأيام- يرفع رسالة إلى علي ماهر باشا، ويصفه بقوله: «حضرة صاحب المقام الرفيع علي ماهر باشا رئيس مجلس الوزراء.. »[٣].

ويخاطب مصطفى النحاس باشا رئيس الحكومة بقوله: «.. وبعد، فدولتكم أكبر زعيم شرقي، عرف الجميع فيه سلامة الدين، وصدق اليقين... »[٤].

ويخاطب الأنبا يؤنس بطريرك الأقباط الأرثوذكس بمصر بـ«صاحب الغبطة.. ما نعهده في غبطتكم من أسمى عواطف الرحمة النبيلة، والبر بالإنسانية المعذبة.. »[٥].

فإذا ما اختلفت الحال تغير إلى الضد وجه المقال، كما نرى في رسالته الغاضبة إلى صدقي باشا رئيس الوزراء، وهي الرسالة التي وجهها الإمام إليه في ٨ من أكتوبر ١٩٤٦، بعد أن غرر بالشعب، ومالأ المستعمر، ولم يف بما وعد[٦].. وفيها يقول بنبرة غاضبة: «... ولكن حكومة دولتكم أصرت إصرارًا عجيبًا على موقفها الضعيف المتخاذل، وأخذت تكبت شعور الهيئات

---

(١) محمد حميد الله: مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، دار الإرشاد، بيروت، الطبعة الثالثة، ص(٥٢). وكان العباس عينًا لرسول الله ﷺ على الكفار في مكة، فاشتاق أن يتركها ويهاجر إلى النبي ﷺ في المدينة، فبعث إليه بهذه الرسالة (البرقية).

(٢) مذكرات الدعوة والداعية، ص(٣٠٢).

(٣) السابق، ص(٣٥٠).

(٤) السابق، ص(٢٩٢).

(٥) السابق، ص(٢٨٢).

(٦) وكان الإمام قد وجه إلى صدقي رسالة بمطالب الشعب في ١٩٤٦/٢/٢٤، ووعد صدقي بأنه سيرعى مصلحة الشعب، وينفذ ما طلبه الإخوان منه، ولكنه كذب وغدر، فكانت هذه الرسالة الثانية: انظر: الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ، (١/ ٣٧٠-٣٧٢).

والجماعات والأفراد، وتصادر الحريات.. ». «... قد تضامنتم -بقصد أو بغير قصد- مع الغاصبين في الاعتداء على استقلال الوطن وحريته.. ».

«وعليكم أن تدعوا أعباء الحكم لمن هو أقدر منكم على سلوك النهج القويم.. »[1].

وفي ٢ من نوفمبر ١٩٣٧ -بمناسبة ذكرى وعد بلفور- يوجه الإمام الشهيد إلى السفير الإنجليزي رسالة صاخبة غاضبة بسبب موقف الحكومة الإنجليزية تجاه القضية الفلسطينية، وهو موقف مناصر للصهاينة على طول الخط، ختمها بقوله: «إن قضية فلسطين قضية كل مسلم.. وإن الحكومات الإسلامية، والشعوب الإسلامية إن عبرت عن إظهار هذا الشعور المتمكن من نفوسها كل التمكن بوسائل الإظهار البالغة لظروف خاصة، فإن هذا مما يزيد ألمها، ويضاعف همومها، ومن ثم لابد من الانفجار يومًا للشعور المكبوت، فتخسر إنجلترا صداقة العالم الإسلامي إلى الأبد. نرجو أن تدرك الحكومة البريطانية هذه الحقيقة قبل فوات الوقت بالرغم من كل ما يخدعها به اليهود. وننتهز هذه الفرصة لتحيتكم»[2].

وقد أشرت من قبل إلى أن «مراعاة مقتضى الحال» سمة فنية وموضعية شاملة، يعيش في ظلها الملامح الفنية الأخرى، وقد رأينا في النصوص السابقة كيف أخذ الإمام الشهيد نفسه بها في الأداء التعبيري، وفي السطور الآتية نرى كيف أخذ نفسه بها في التصوير البياني وخصوصًا التشبيه؛ فقد كان يوظف من التشبيهات أنسبها للواقع الاجتماعي والسياسي والمذهبي للبلد الذي يخطب فيه، وقد رأيت ذلك بنفسي عندما زار مدينة المنزلة (دقهلية) مسقط رأسي، والمعروف أنها تعتمد في معاشها على صيد الأسماك والطيور البحرية، والبحارة (بكسر الباء- أي نقل الركاب والبضائع بالسفن الشراعية في بحيرة المنزلة). كان ذلك في سنة ١٩٤٦، وكانت سني آنذاك اثنتي عشرة سنة. وبعد العشاء خطب ألوفًا من البشر على مدى ثلاث ساعات، والناس مقبلون عليه إقبالاً عجبًا. انطلق حسن البنا في حديثه، فشبه الأمة بسفينة: جسمها الشعب، وشراعها الإيمان، ودفتها الحكومة، ودخل الإمام نفوس الناس بهذا «التشبيه البيئي»، وأخذ يشرح مقولته مكثرًا من الاستشهاد بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، ووقائع من السيرة النبوية، وحياة السلف الصالح.

---

(١) انظر: الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ، (١/ ٣٧٧).

(٢) مذكرات الدعوة والداعية، ص(٣٠٤).

كنت على صغر سني أفهم -بل أعيش- كل كلمة يقولها الرجل العظيم، ولكن الأهم من ذلك هو إحساسي القوي -وأنا مأخوذ بما يقول- بأنه يوجه نظراته وكلماته إليّ دون غيري، ثم اكتشفت -بعد ذلك- أن هذا الشعور نفسه عند كثيرين. فآمنت بأن الرجل قد بلغ مقامًا من «البلاغة الإيمانية» لا يرقى إلى مثله إلا أقل الأقلين، على مدار التاريخ الإنساني كله.

كما كان الإمام الشهيد يحرص على هذه السمة فيما يوظفه من أخبار التراث العربي والإسلامي، فيتخير منه أنسب الوقائع والشخصيات لطوابع المجتمع الذي يخطب فيه، وقد قص عليّ أحد الإخوة من الرعيل الأول للإخوان واقعة حضرها بنفسه وخلاصتها:

من المعروف أن حي «بولاق» كان حي «الفتونة والفتوات»: فالقوة الجسدية، وقدرة التغلب كانا معيار الأفضلية في هذا المجتمع، وكان لهذا الحي جهاد معروف في مقاومة جنود الحملة الفرنسية، حتى إن «الجبرتي» كان يذكره مع القاهرة، وكأنه عاصمة أخرى، فمن عباراته التي تكررت في تاريخه، «وثار أهل القاهرة وبولاق».

كان الإمام الشهيد يعرف هذه الحقائق عن «بولاق» في تاريخها وطوابعها، وفي السرادق الضخم الذي أقيم، وضم الألوف من أهل بولاق -احتفالاً بمناسبة إسلامية- تحدث الإمام الشهيد عن «القوة في الإسلام» وأنواعها، ومنها القوة المادية الجسدية، والقوة المعنوية في الإيمان، وتحدث عن رسول الله ﷺ كنموذج للقوة بكل أنواعها، وبلغ من قوته أنه استطاع أن يصرع أشد العرب وأقواهم: ركانة بن عبد يزيد بن هاشم، صرعه مرتين، وأسلم بعدها[1]. وبهذا المثال استطاع الإمام الشهيد أن يتسلل إلى نفوس السامعين، وبلغ بهم الإعجاب والحماسة أن وقف أحدهم -وهو إبراهيم كروم فتوة بولاق- وأخذ يهتف «اللهم صلّ على أجدع نبي.. اللهم صلّ على أجدع نبي».

وعن هذا الملمح كتب «جاكسون» عن الإمام الشهيد «كان قديرًا على أن يحدث كلاً بلغته، وفي ميدانه، وعلى طريقته، في حدود هواه، وعلى الوتر الذي يحس به، وعلى الجرح

---

(١) قال ابن إسحاق: كان ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف أشد قريش، فخلا يومًا برسول الله ﷺ في بعض شعاب مكة، فدعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام. قال ركانة: إني لو أعلم أن الذي تقول حق لاتبعتك. فقال له رسول الله ﷺ: أفرأيت إن صرعتك، أتعلم أن ما أقول حق؟ قال: نعم. قال: فقم حتى أصارعك. فقام إليه ركانة يصارعه. فلما بطش به رسول الله ﷺ أضجعه، وهو لا يملك من نفسه شيئًا. ثم قال: عد يا محمد، فعاد فصرعه. فقال: يا محمد والله إن هذا لعجب أتصرعني؟؟! (وذلك لأنه لم يصرعه أحد من قبل). [السيرة النبوية، القسم الأول، ص(٣٩١)].

الذي يثيره، ويعرف لغات الأزهريين والأطباء والمهندسين والصوفية، وأهل السنة، ويعرف لهجات الأقاليم في الدلتا وفي الصحراء، وفي مصر الوسطى والعليا، وتقاليدها، بل إنه يعرف لهجات الجزارين والفتوات، وأهالي بعض أحياء القاهرة الذين تتمثل فيهم صفات معينة بارزة.

وهو يستمد موضوع حديثه -أثناء سياحاته في الأقاليم، وفي كل بلد- من مشكلاتها ووقائعها، وخلافاتها، ويربطه -في لباقة- مع دعوته ومعالمها الكبرى، فيجيء كلامه عجبًا يأخذ بالألباب. كأن يقول للفلاحين في الريف: عندنا زرعتان: إحداهما سريعة النماء كالقثاء، والأخرى طويلة كالقطن... »[1].

(١) حسن البنا الرجل القرآني، ص(٢٠-٢١).

الفصل الثاني: التصوير البياني

يطلق مصطلح البيان على معنيين:

الأول: معنى أدبي واسع يشمل الإفصاح عن كل ما يختلج في النفس من المعاني والأفكار والأحاسيس والمشاعر بأساليب لها حظها الممتاز من الدقة والإصابة، والوضوح والجمال. وهو بهذا التعميم يجمع فنون البلاغة الثلاثة: المعاني والبيان والبديع.

والثاني: معنى علمي محدود، وهو التعبير عن المعنى الواحد بطريق الحقيقة، أو المجاز، أو الكناية[1].

ويعتبر التشبيه من أهم الألوان البيانية وأبلغها، وبلاغته تأتي من قدرته على تحريك نفس السامع أو القارئ، وزيادة الفكرة وضوحًا في ذهنه، وجعله قادرًا على فهمها وتقبلها عن طريق نقله من الخفي الغامض إلى الجلي الواضح، ومن غير المألوف إلى المألوف، ومن المعروف قليلاً إلى المعروف كثيرًا، ومن الذي يدرك بالعقل إلى الذي يدرك بالحس.. كما أن التشبيه يعطي المعنى الواحد بأشكال مختلفة عن طريق تشبيه بهذا مرة، وبذاك مرة أخرى[2].

وكان التشبيه بكل أنواعه -وخصوصًا التمثيلي والضمني- من أكثر الألوان البيانية ورودًا في أدبيات الإمام الشهيد، وتشبيهاته لا تجنح للتحليق الشارد البعيد، بل تكاد تقترب من الأسلوب الحقيقي؛ لأنه لا يهدف بها إلى التجميل الفني بقدر حرصه على إقناع المتلقين، والوصول إلى نفوسهم لتحقيق أهداف روحية، وأخلاقية، واجتماعية نبيلة، لذلك كانت تشبيهاته تستمد وجودها من الواقع المعيش، يعرضها -رحمه الله- في تبسيط ووضوح. ونكتفي بمثالين يؤيدان ما ذهبنا إليه في هذا السياق.

-يقول الإمام الشهيد:

«أما بعد، فيا عباد الله، نشاهد فيما بيننا أن أحدنا لو جاءه إعلان من محكمة جزئية بجلسة مدنية في قضية عادية، فإنه يهتم كل الاهتمام بنفسه، ويفكر في شأنه، ويعد لذلك العدة، ويستشير أهل الخبرة، ولا يقر له حال، ولا يهدأ له بال حتى يطمئن على نتيجة تلك القضية التي غاية أمرها، وقصارى شأنها غرم يسير في زمن قصير، ذلك شأننا في

---

(١) معجم البلاغة العربية، ص(٩٩).

(٢) الشامل، ص(٢٨٨-٢٨٩).

هذه القضايا الصغرى، فما بالنا -أيها الإخوان- نسينا القضية الكبرى، والجلسة العظمى بين يدي الملك الأعلى؟

فاعلموا إخواني -أرشدكم الله- أن الله -تبارك وتعالى- أرسل لكم نبيه سيدنا محمدًا ﷺ يحمل إليكم إعلان هذه القضية، وينذركم، ويذكر بهذه الجلسة الإلهية، فذلك قوله تعالى: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾ [غافر: ١٥-١٦]، وليس ذلك الإعلان إلا القرآن المجيد، قال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق: ٤٥].

ويمضي الإمام معرفًا بأجزاء القضية:

-فموعدها هو يوم الفصل...

-ودار المحكمة هي أرض المحشر...

-والشهود هي أعضاء الإنسان

-ومستنداتها مدونة ﴿فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾﴾ [عبس: ١٣-١٦].

-والجزاء نعيم الأبد للمحسنين، وشقاء الأبد للمسيئين... »[(١)].

ومن أبلغ تشبيهات الإمام -رحمه الله- ما نقرؤه في قوله: «إن مثل المسلمين في التخلف، واختلافهم على تحديد المسئولية عن الفساد، كمثل قوم أقبلوا على دارهم، فوجدوا النار مشتعلة فيها، فأخذوا يتساءلون عن السبب في إشعال النار، فقال أحدهم: إن السبب أنت؛ لأن زوجتك كانت تخبز في فرنها، فطارت شرارة من الفرن، وتسببت في هذا الحريق. والثاني يقول: لا يا أخي ليست زوجتي، بل هو ولدك الذي كان يلعب بقطعة من الورق اشتعلت فيها النار. والثالث يقول: لست أنا، بل هو الذي كان يشرب السجاير، ووقع السيجار في قطعة من القماش فحرقها، وانتشر الحريق منها، وأخذوا يقتتلون فيما بينهم، وكانت النتيجة أن انشغلوا بهدف المناقشات والاختلاف حتى أتت النار على البيوت كلها، ثم لم تلبث أن أتت عليهم، فأكلتهم فيها، فلم تبق بيوتًا ولا سكانًا»[(٢)].

---

(١) مجلة الإخوان المسلمين، العدد (٢)، السنة الأولى، ٢٨ صفر ١٣٥٢ - ٢٢ يونيو ١٩٣٣م.

(٢) مذكرات عبد الحكيم عابدين (مخطوط).

ويقول عبد الحكيم عابدين -رحمه الله: «هكذا يصور لنا الأستاذ حسن البنا المعنى الرفيع، والمغزى العظيم الجليل، فالذي يجب على من يرى النار مشتعلة ألا يفكر فيمن أشعلها، ولا فيمن يكون السبب في إيقادها، وإنما يسرع إلى إناء الماء، ومن لم يستطع فليحمل صفيحة، ومن لم يستطع فليحمل كوزًا من الماء، ومن لم يستطع فليلق بشيء من التراب على النار. المهم أول ما يعني الجميع، وأول ما يحركه الإيمان والعقل في نفوس الجميع هو أن يسارع في إطفاء النار، فإذا سلمت البيوت وسلمت النفوس، علينا أن نتحاسب فيما بعد، وحبذا لو قلنا: «فمن عفا وأصلح فأجره على الله»، وجعلنا شكرنا لله على نعمة إطفاء الحريق أن نتعانق، ونتسامح، ونستأنف حياة جديدة كلها حب، وكلها صفاء، وكلها أخوة على طراز الدعوة المثلى التي تسمى دعوة الإخوان المسلمين...»[1].

والتجسيد أو التجسيم ملمح فني يعني إبراز المعنوي (الذي لا يدرك بحاسة من الحواس الخمس) في صورة حسية، كقولنا: «تحطم اليأس على صخرة الأمل».

أما التشخيص فيعني أن ينسب للحسي: الجماد والطبيعة ملامح بشرية، كقولنا: «مصر هبة النيل»، أو «إن الأهرامات تروي تاريخ قدماء المصريين».

وقد يجتمع التجسيد والتشخيص في مثال واحد، كقولنا: «إن إيمان الرعيل الأول ينطق بالصدق واليقين»، فالإيمان ظهر هنا في صورة حسية مشخصة.

وهناك من النقاد من يسوي بين التجسيد والتشخيص فهما يمثلان صورة بلاغية تنزل فيها الأفكار والمعاني منزلة الأشخاص، كما تنسب إلى الجماد والطبيعة صفات بشرية.

والمصطلح الإنجليزي هنا مشتق من أصل يوناني، ولا يختلف في معناه عن كلمة Personification مثل قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ﴾ [الرحمن: ٦]، وقول الشاعر:

والموت نقاد على كفه ... جواهر يختار منها الجياد[2]

---

(١) السابق نفس الصفحة. هذا، وكان الإمام يلح على هذا المعنى وذاك التصوير. راجع -مثلاً- مقالاً له بعنوان: «علينا أن نتعاون على إصلاح ما تلف، ثم نفتش عن المسئول بعد ذلك» [جريدة الإخوان المسلمين الأسبوعية، العدد (٦)، السنة الخامسة، ١٦ من ربيع الآخر ١٣٥٦هـ.

(٢) معجم مصطلحات الأدب، ص(٣٨٩، ٤٤٧).

ويقول شهيد الإسلام سيد قطب:

«التصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن، فهو يعبر بالصورة المحسّة المتخيلة عن المعنى الذهني والحالة النفسية، وعن الحادث المحسوس، والمشهد المنظور، وعن النموذج الإنساني، والطبيعة البشرية، ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة، أو الحركة المتجددة، فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة، وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد، وإذا النموذج الإنساني شاخص حي، وإذا الطبيعة البشرية مجسمة مرئية.. »[1].

وقد يكون تقسيم هذه الظاهرة إلى ثلاثة أنواع أدخل في باب الدقة، كما مثلنا آنفًا:

أ- فالتجسيد أو التجسيم هو إبراز المعنوي في صورة حسية غير عاقلة.

ب- والتشخيص هو إبراز الحسي -غير العاقل- في صورة بشرية.

جـ- والجمع بينهما يعني إبراز المعنوي في صورة حسية بشرية.

وهذه الظاهرة الفنية في كل أشكالها تنقل «المعروض» من حالته التقريرية أو المغيبة إلى حالة تُرى وتعاش بالبصر والبصيرة بما اكتسبته من نبض وحركة وحياة.

وقد وظف الإمام الشهيد هذه الظاهرة كثيرًا في أدبياته وخصوصًا خطبه، كما نرى في قوله:

«أيها الإخوان المسلمون، أيها الناس أجمعون: في
هذا الصخب الداوي من صدى الحوادث الكثيرة المريرة
التي تلدها الليالي الحبالى في هذا الزمان، وفي هذا
التيار المتدفق الفياض من الدعوات التي تهتف بها
أرجاء الكون، وتسري بها أمواج الأثير في أنحاء
المعمورة، مجهزة بكل ما يغري ويخدع من الآمال
والوعود والمظاهر:
نتقدم بدعوتنا نحن الإخوان المسلمين..
هادئة، ولكنها أقوى من الزوابع العاصفة..
متواضعة، ولكنها أعز من الشم الرواسي..
محدودة، ولكنها أوسع من حدود هذه الأقطار الأرضية جميعًا.
خالية من المظاهر الزائفة والبهرج الكاذب.

---

(١) سيد قطب: مشاهد القيامة في القرآن، دار المعارف، القاهرة، ١٩٤٧، ص(٥).

ولكنها محفوفة بجلال الحق، وروعة الوحي، ورعاية الله... »[1].

وتبرز ظاهرة التجسيم في أرق وأجمل صورها في النص الآتي:

«هبط الإيمان على قلوب المسلمين الأولين من صحابة
النبي ﷺ كما تهبط قطرات الندى في الصباح
الباكر على أكمام الزهرات فتهتز لها، وتتفتح وتستمد
منها الجمال والقوة والحياة، وكذلك استمدت
قلوب هؤلاء الكرام من دعوة النبي ﷺ الحياة
والقوة والجمال، وحلا فيها الإيمان، وتغلغل حتى
حل منها في الصميم، وملك منها الحبة والشغاف،
فبهذه الدعوة يهتفون، ولها يعملون، وفي سبيلها
يجاهدون، فإن واجههم العذاب في هذا السبيل
فهو العذاب الفرات، وإن أريدوا على تركها
ثبتوا حتى الممات، وإن فتنوا فيها رأيت ما شاء الإيمان من صبر وثبات»[2].

---

(١) من الخطاب الجامع الذي ألقاه الإمام البنا في الاجتماع الحاشد يوم الثلاثاء ١٤ من صفر ١٣٥٨هـ- ٤ من أبريل ١٩٣٩م بدار الإخوان المسلمين بالقاهرة نشر بعنوان: «الإخوان المسلمون تحت راية القرآن» في مجموعة رسائل الإمام، ص(١٠٧-١٢٢).

(٢) مجلة الإخوان المسلمين، العدد(٢)، السنة الثانية، ٢٦ من المحرم١٣٥٣هـ- ١١ من مايو ١٩٣٤م.

الفصل الثالث: الأسلوب والأداء التعبيري

تحدث ابن منظور عن الأسلوب في معجمه «لسان العرب» فقال: يقال للسطر من النخيل أسلوب، وكل طريق ممتد فهو أسلوب. والأسلوب: الطريق والوجه والمذهب، يقال: أنتم في أسلوب سوء، ويجمع على أساليب. والطريق تأخذ فيه. والأسلوب: الفن. يقال: أخذ فلان في أساليب من القول، أي: أفانين منه.

«ومن هذا التعريف اللغوي يهمنا ما يتعلق بأسلوب القول، ويمكن أن نلحظ فيه النتيجة التالية: الأسلوب هو طريقة الأداء، أو الطريقة التي يعتمدها الأديب لنقل ما في نفسه من معان في عبارات لغوية»[١].

ولابن خلدون كلام طويل في تعريف الأسلوب، أورده في فصل «صناعة الشعر وتعلمه» يقودنا إلى القول بأن الأسلوب صورة لفظية لمعنى ذهني، أي أن الأديب يتصور في ذهنه المعنى أولاً، ثم يترجمه إلى الأسلوب (اللفظ)، دون النظر إلى علم البلاغة أو الإعراب أو الوزن[٢].

ومن أدق وأحدث تعريفات «الأسلوب» أنه طريقة يستخدمها الكاتب ليبين رأيه، أو يعبر عن موقفه بألفاظ مؤلفة على صورة تكون أقرب لنيل الغرض المقصود من الكلام، وأفعل في نفس قارئه أو سامعه، فتعرف شخصية صاحب هذا الأسلوب، وتتميز باختياره المفردات، وانتقاء التراكيب لأداء أفكاره حق أدائها.. ومن هنا قالوا: الأسلوب هو طريقة الكاتب في التعبير عن موقف ما، والإبانة عن شخصيته المتميزة عن سواها.

وهو أنواع من أهمها:

١) الأسلوب الأدبي: وأبرز صفاته الجمال، وقوة الإيحاء والتأثير، وبراعة الخيال والتصوير، ودقة توظيف المجاز، واختيار الألفاظ ذات الإيحاء والجرْس المناسب، مع التدفق العاطفي، وقوة الشعور.

٢) الأسلوب العلمي: ويغلب عليه الطابع العقلي، وتوظيف الحجج العقلية، واستخدام المصطلحات العلمية، والإحصائية، واستعمال التراكيب المباشرة، والألفاظ ذات المدلول الواحد، دون تنميق وخيال.

---

(١) الشامل، ص(٩٨).

(٢) انظر: مقدمة ابن خلدون، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٩، ص(١٠٩٩-١١٠٠)- وانظر: صلاح فضل: علم الأسلوب، النادي الأدبي الثقافي بجدة، الطبعة الثالثة، أبريل ١٩٨٨، ص(١٠٥-١٠٧).

٣) الأسلوب العلمي المتأدب، أو الوسطي، وهو الذي يجمع بين صفات من الأسلوبين السابقين، ويستعمل غالبًا في العلوم الإنسانية كالتاريخ والاقتصاد والتربية والسياسة[1].

وأسلوب الإمام الشهيد يتسم بالسهولة والوضوح، وهي سمة غالبة في كل أعطياته، كالخطب والمحاضرات والمقالات والرسائل، فلا غريب ولا مهجور من الكلمات، ويستطيع المتعلم العادي -بل العامي- أن يفهمه في سهولة ويسر، ولكنه -على سهولته ووضوحه- لا تجد فيه لفظة مبتذلة أو معنى مستهجنًا.

وإذا كان الوضوح هو السمة المعنوية للأسلوب، فإن الترسل هو الصفة الشكلية العامة للأداء التعبيري[2]، فنادرًا ما نجد للسجع مكانًا في أسلوب الإمام الشهيد، ومن هذا القليل النادر:

«أيها الإخوان المسلمون، أيها الناس أجمعون:
إن الله بعث لكم إمامًا، ووضع لكم نظامًا، وفصل
أحكامًا، وأنزل كتابًا، وأحل حلالاً، وحرم حرامًا..
..فهل اتبعتم إمامه؟ واحترمتم نظامه؟ وأنفذتم أحكامه؟... »[3].

وقد يكون مع السجع ازدواج[4] كقول الإمام الشهيد في رسالته إلى الملك فاروق:

«يا صاحب الجلالة.. بؤر الخمور، ودور الفجور، وصالات الرقص، ومظاهر المجون تغشى الناس في كل مكان.. »[5].

ومن هذا القبيل قوله:

«والإنجليز يضحكون من غفلتنا، ويعبثون بألباب
رجالنا وقادتنا، ويجرّونهم بخيوط الوعود الزائفة،
ومقاود الأوهام الباطلة، حتى يقفوا بهم على
حافة هاوية ما لها من قرار، وينتهوا معهم

---

(١) انظر: المعجم المفصل في الأدب، (١/ ٩٣-٩٤).

(٢) الترسل: هو صفة النثر المرسل الذي لا يعتني صاحبه بالصنعة من سجع وجناس وازدواج وغيرها، بل ينطلق الأديب على سجيته دون قيود إلا سلامة اللغة وحسن اختيار الكلمات والعبارات. [راجع: السابق، (١/ ٢٤٣)].

(٣) مجموعة الرسائل، ص(١١١).

(٤) الازدواج: هو توافق الفاصلتين في الوزن، ولو لم يتوافقا في التقفية، مثل قوله تعالى: ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ۝ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ۝﴾ [الغاشية: ١٥-١٦] [معجم البلاغة العربية، ص(٢٦٦)].

(٥) نشرتها مجلة النذير في ٨ من المحرم١٣٥٨، ولم يوردها الإمام الشهيد في مذكراته، أو مجموعة رسائله.

إلى هذا المصير الذي يجمع بين النار والعار.. »[1].

وعلينا أن نلاحظ أن صفتي الوضوح والترسل من ألزم الصفات الأسلوبية للداعية، وخصوصًا إذا كان داعية في حجم الإمام الشهيد الذي يقف على رأس كبرى الحركات الإسلامية في القرن العشرين، ويتحدث إلى طبقات مختلفة في مستواها الثقافي والاجتماعي، كما أن كثرة خطاباته الدعوية -كتابة وخطابة- تجعله ينطلق بطريقة عفوية، حيث لا يملك الوقت الذي يمكنه من المراجعة، والإعداد الجمالي النموذجي[2].

ولا يصدق هذا إلى ما قصد الإمام إلى أن يكون دراسة تتمتع بالعمق، وتحتاج إلى مراجع ومراجعات كالذي كتبه في العقائد والتفسير، والرسائل العامة إلى الملوك والرؤساء والوزراء.

وفي هذا السياق نلقى نظرة على «الجملة» في أدبيات الإمام الشهيد دون النظر إلى التفصيلات، وزحمة التقسيمات التي يلجأ إليها البلاغيون، وهي على أية حال -لا تخرج من ناحية الكم- عن الأقسام الثلاثة الآتية:

١- جمل طويلة.

٢- جمل متوسطة أو متساوية.

٣- جمل قصيرة.

والجمل الطويلة هي أكثر الجمل استعمالاً في أدبيات الإمام الشهيد، وذلك لسببين:

الأول: أنها أقدر من النوعين الآخرين، وأكثر سماحة واتساعًا لاستيعاب المعاني والأفكار، بصرف النظر عن التنميق اللفظي، والتجميل البلاغي.

الثاني: أن الهدف الدعوي هو التبليغ والإقناع قبل أن يكون التجميل، والتأثير العاطفي، وهو ما تتسم به الجمل القصيرة ذات الجرس الموسيقي الأخاذ.

ومن نماذج الجمل الطويلة ما نراه في النص الآتي:

«نحن الآن في السابع من المحرم، فنحن إذن في مدخل عام جديد، قرأت في بعض المطالعات لكاتبة فرنجية كلمة أعجبتني فوعيتها، وما زالت تتمثل أمامي، فيتكرر إعجابي بما فيها من صدق وحق، والحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها، إنها

---

(١) جريدة الإخوان المسلمين اليومية، العدد (٦١٥)، السنة الثانية، ٢١ من جمادى الآخرة ١٣٦٧هـ- ٣٠ من أبريل ١٩٤٨م.

(٢) في مطلع الخمسينيات -بعد استشهاد الإمام بثلاث سنوات- حكى لي الأستاذ وهبة الفيشاوي أن الإمام كان دائم الانشغال فكان يملي عليه مقال الصحيفة على دفعات لانقطاع تواصله بالهاتف أو الحديث إلى بعض الإخوان.

قالت: قلت للرجل الواقف على باب العام: أعطني نورًا أستضيء به في هذا الطريق المجهول، فقال لي: ضعي يدك في يد الله، فإنه سيهديك سواء السبيل»، وذلك حق؛ فالله -تبارك وتعالى- هو الهادي إلى سواء السبيل ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠][١].

ومن أمثلة الجمل الطويلة من رسالة الإمام إلى علي ماهر رئيس الحكومة سنة ١٩٣٩.. «وأنتم في هذه الظروف أحوج ما تكونون إلى أن تكون الأمة جميعًا إلى جانبكم، تستمدون منها القوة في الرأي والتأييد في مواقف العنت.. ولقد وقف الإخوان المسلمون من كل وزارة سابقة -ومنها وزارتكم الماضية- موقف الحياد التام، ولم يتقدموا إلى واحدة منها بالمساعدة، كما أنهم لم ولن يطلبوا، ولم ولن يتقبلوا من واحدة منها مساعدة.. »[٢].

وإذا كانت الجملة في الفقرة السابقة لا تتجاوز السطر وبعض السطر، فإن الإمام البنا قد يطولُ نفسُه في الجملة الواحدة حتى تبلغ عدة أسطر كما نرى في الجملة الآتية من الرسالة السابقة: «والإخوان المسلمون -وهم يرون في المعاهدة المصرية الإنجليزية إجحافًا كبيرًا بحقوق مصر واستقلالها الكامل- يريدون من حكومة مصر ألا تتجاوز الحدود المرسومة -على ما فيها من إجحاف- بأية حال»[٣].

فالجملة طويلة يبتعد خبرها (يريدون) عن مبتدئها (الإخوان) بقرابة سطرين، وقد يكون التباعد أوسع كما نرى بين الشرط (إذا جليتم) وجواب الشرط (كان ذلك سببًا) وذلك في الجملة الآتية من رسالة الإمام إلى علي ماهر: «..ونعتقد كذلك أنكم إذا جليتم للساسة البريطانيين حقيقة شعور الشعب المصري، وهو بلا شك صورة من شعور غيره من الشعوب الإسلامية، وأقنعتموهم بأن بريطانيا حين تفعل هذا تظفر إلى أبعد حد بالتأييد القلبي والعملي من الشعوب الإسلامية والعربية كلها، وتسد الباب على الطاعنين عليها، وتقدم بذلك دليلاً على أنها تقدر العدالة والإنصاف- **كان ذلك سببًا** للعمل من جديد على إنصاف فلسطين الباسلة..». فالجملة الأم -في المثالين السابقين في سبيل استيفاء المعنى- تضم بين دفتيها جملاً أخرى تابعة كالجمل الاعتراضية والجمل الاحتراسية[٤].

---

(١) جريدة الإخوان المسلمين اليومية، العدد (٤٧٧)، السنة الثانية، ٨ من المحرم ١٣٦٧هـ-٢١ من نوفمبر ١٩٤٧م.

(٢) مذكرات الدعوة والداعية، ص(٣٥٠-٣٥١).

(٣) السابق، ص(٣٥٢).

(٤) المذكرات، ص(٣٦١). وفي تعريف الاحتراس والاعتراض انظر: معجم البلاغة العربية، ص(١٦١، ٤٠٨)، وكذلك المعجم المفصل في الأدب، (١/ ٣٦، ١٠٨).

ومن لوازم هذه السمة الأسلوبية: «التكرار»، وهو نوعان:

١- تكرار لفظي: ويكون بإعادة ذكر الكلمة أو الجملة بنصها، كما نرى في قول الشاعر:

أخاكَ أخاكَ، إن من لا أخا له كساعٍ إلى الهيْجا بغير سلاحِ

وقوله -تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝﴾ [الشرح: ٥-٦].

٢- تكرار معنوي: ويكون بتكرار المضمون الفكري مع اختلاف بنية الكلمات، وقد يقال لكلماته: مترادفة، وفي أدبيات الإمام الشهيد -وخصوصًا رسائله- يكثر الترادف، أي: التكرار المعنوي، بالإلحاح على الفكرة الواحدة بأساليب متعددة، متساوية في المعنى، أو متقاربة فيه. والهدف من ذلك ترسيب الفكرة في نفس المتلقي، وتأكيدها في نظره، وإقناعه بها، وحتى لا يكون هناك وجه للتأويل، وإخراج المعنى عن مساره المقصود. والأمثلة أكثر من أن تحصى، منها رسالة الإمام للملك فؤاد سنة ١٣٥٢ بسبب ظهور شرور التبشير في مصر «... راجين حماية شعبكم المخلص الأمين من عدوان المبشرين الصارخ على عقائده وأبنائه وفلذات كبده...وقد جعلكم الله تبارك وتعالى حماة دينه، والقائمين بحراسة شريعته، والذائدين عن حياض سنة نبيه..»[١].

ونرى ظاهرة التكرار المعنوي كذلك في المقالة الآتية وغيرها كثير: «ولكن شيطان الإنس أقوى عزمًا، وأنفذ سهمًا، وأقدر على تدبير المكائد، وإذكاء الشر، وإثارة الخصومة، فما هو إلا أن مر بهؤلاء المتحابين رهط من يهود نفسوا عليهم وحدتهم، وحسدوهم على نعمة الله التي أنعم بها عليهم، وامتلأت قلوبهم غيظًا وحنقًا، فقال بعضهم لبعض: من لهؤلاء يذكرهم الأحقاد الماضية، والضغائن السابقة، ويثير في أنفسهم حمية الجاهلية، ويفرق من كلمتهم ما اجتمع، ويشتت من شملهم ما توحد؟»[٢]

وتأتي الجمل المتساوية، والجمل القصيرة في المرتبة الثانية بعد الجمل الطويلة، والرسالة الواحدة تجمع هذه الأنواع الثلاثة بالترتيب الكمي المذكور، كما نرى في رسالة المرشد إلى صدقي باشا في ٨ من أكتوبر ١٩٤٦ «... ولكن المفاوضة طالت حتى أسأمتْ وأملَّتْ، واستُؤنِفتْ، ثم انقطعتْ، ووُصِلَتْ، ثم يتجنى علينا المفاوضون الإنجليز، فهزوا أكتافهم، وجمعوا أوراقهم، وانصرفوا عنا إلى بلادهم، هازئين ساخرين»[٣].

---

(١) انظر: مذكرات الدعوة والداعية، ص(٢٠٣-٢٠٤).

(٢) جريدة الإخوان المسلمين اليومية، العدد (٢٧١)، السنة الأولى، ٢٨ من ربيع الآخر ١٣٦٦هـ- ٢١ من مارس ١٩٤٧م.

(٣) انظر: الإخوان المسلمون: أحداث صنعت التاريخ، (١/ ٣٣٧-٣٧٩).

وكذلك في ختام رسالته إلى النقراشي باشا في الأول من مايو سنة ١٩٤٧ «يا دولة الباشا- لقد تقدمتُ لدولتك بمثل هذه النصيحة منذ عام مضى، وهأنذا أتقدم بها اليوم، وأعتقد أني بذلك قد أبرأتُ ذمتي، وأديت أمانتي، والوقت من ذهب، فسر على بركة الله، والله معك، ولا تتردد.. »[1].

ومن الجمل القصيرة الخالصة قول الإمام -رحمه الله: «.. فإذا ألف الإنسان الجهاد، وعرف طريق الرشاد، وأصبح جنديًا مدربًا، ومحاربًا للشر مجهزًا، وواظب على المراقبة والاستشعار، والتوبة والاستغفار، استطاع أن يستشعر الأمر قبل وقوعه، فيتخذ له أهبته، ويرد على الشيطان مكيدته..»[2].

وبهذا الأسلوب الذي راعى فيه الإمام الشهيد مقتضى الحال، مستمدًا من طاقته الإيمانية، وثرائه اللغوي، وقدرته على التصرف، وبراعته في الانتقاء والاختيار.. استطاع الإمام الشهيد أن يصل إلى قلوب الناس وعقولهم مستميلاً مقنعًا.

---

(١) السابق، (١/ ٣٨٧-٣٨٩).

(٢) جريدة الإخوان المسلمين اليومية، العدد (٢٤)، السنة الأولى، ٣٠ من جمادى الآخرة ١٣٦٥هـ- ٣١ من مايو ١٩٤٦م.

الفصل الرابع: براعة التمثل والاستشهاد

مما قاله أبو هلال العسكري عن الاستشهاد: وهذا الجنس كثير في كلام القدماء والمحدثين، وهو أحسن ما يتعاطى من أجناس صنعة الشعر، ومجراه مجرى التذييل لتوليد المعنى، وهو أن تأتي بمعنى، ثم تؤكده بمعنى آخر يجري مجرى الاستشهاد على الأول، والحجة على صحته[1].

فالاستشهاد يعني: وضع برهان على لغة أو فكرة، لتأكيد ما ذهبت إليه، وإثباته بالحجة، وهو نوعان:

١- **الاستشهاد في اللغة:** ويكون بعرض قضية لغوية أو نحوية، وإثباتها بسوْق دليل من القرآن أو الحديث، أو الشعر. واشترطوا للاستشهاد أن يكون الشعر من عصر الاحتجاج الذي يمتد حتى سنة ١٥٠هـ، أو إضافة قرن آخر إن كان الشاعر أو العربي عاش في قلب البادية، ويدخل في ذلك القرآن والحديث والشعر الجاهلي، وشعر صدر الإسلام، وشعر العصر الأموي، ومطلع من العصر العباسي بلا استثناء إلا من عدم عروبية الشاعر، وإذا لم يكن الشاعر من عصر الاحتجاج دعي الشاهد «مثالاً» للاستئناس لا للبرهنة: كشعر المتنبي والمعري.

٢- **الاستشهاد في الأدب:** ويكون بسوْق دليل نثري أو شعري لإقامة الدليل على قضية أدبية تعالجها، ولا يشترطون بها زمانًا، كمن يستشهد بشعر الطيف من البحتري، أو الصنعة من أبي تمام، أو الفلسفة من المعري..[2].

ولكن الاستشهاد أوسع مدى من هذين النوعين، فيمكن أن يوظف للاحتجاج لقضية فكرية، أو دينية، أو سياسية، أو تاريخية، وغير ذلك من الأفكار والمعاني، وفي هذا الاتجاه -كما هو واضح- تحرر -إلى حد كبير- من حرفية المفهوم الاصطلاحي للاستشهاد.

وكان الإمام الشهيد -رحمه الله- من أكثر الدعاة والمفكرين توظيفًا للشواهد التراثية، فكثرت في خطبه ومقالاته ورسائله ودراساته الشواهد من القرآن والسنة، والشعر والحكم والأمثال، وأقوال السلف الصالح، والوقائع التاريخية.

---

(١) معجم البلاغة العربية، ص(٣١٤).

(٢) المعجم المفصل في الأدب، (٢/ ٨٥-٨٦).

وإكثاره من الشواهد يرجع إلى عدد من الأسباب أهمها:

١- قوة ذاكرته، وقوة حافظته، وقدرته على الاستعادة، واجترار المخزون الفكري والأدبي.

٢- الذوق الرفيع، مما يمكنه من اجترار الشاهد المناسب، ووضعه في مكانه المناسب.

٣- قوة عاطفته الدينية، دفعته إلى أن تحتل الشواهد القرآنية المكانة الأولى من ناحية الكم. وإيراد كثير من شعر الحكمة والعقيدة والأخلاقيات.

فأغلب شواهد الإمام شواهد نصية من القرآن الكريم والسنة النبوية، ونلمس ذلك بوضوح في رسالة «نحو النور»، فالشواهد القرآنية فيها قرابة أربعين آية، وما لا يقل عن عشرة أحاديث، وقد جاءت كلها في مواضعها من السياق لتأكيد عظمة التشريع الإسلامي في مجالات السياسة والحكم والاقتصاد والعلاقات الاجتماعية والدولية[١].

وهذا الالتزام بالشواهد القرآنية لم يكن جديدًا على الإمام الشهيد، بل كان خطًا منهجيًا له وجوده المتميز ابتداء من خطبه ومقالاته ورسائله الباكرة، كما نرى في مقاله (حقيقة الإيمان بالله)[٢]؛ فقد استشهد بالآيات في سبعة مواقع، على قصر المقال. وقريب منه في ذلك مقاله (منزلة الصلاة)[٣]. غير الخطب التي تتوافر فيها هذه السمة، وهي أكثر من أن تحصى.

ومن ثم نعتقد أن «روبير جاكسون» لم يسرف حينما وصف الإمام الشهيد بأنه «الرجل القرآني»، وأعتقد أن من أهم أسباب هذا الإطلاق:

١- دعوة حسن البنا إلى اتخاذ القرآن دستورًا بدلاً من القوانين الوضعية.

٢- سلوكه القرآني في أخلاقياته، وسياسته، وتعامله مع الآخرين.

٣- إكثاره من الشواهد القرآنية، في خطبه ومقالاته ورسائله.

ولا شك أن الشاهد القرآني يقوي المعنى والحجة، وهي سمة مشتركة مع الشواهد الأخرى، ولكنه يزيد عليها قوة الإيحاء والتأثير، لما له من مكانة إيمانية في قلوب المتلقين.

والنص القرآني شاهد يورده الإمام -رحمه الله- في صورتين:

١- **الصورة الأولى:** أن يرد مستقلاً لتقوية الفكرة، أو توضيحها، وهذا هو الغالب في هذا المجال.

---

(١) رسالة: نحو النور، ص(٦٩-٩٤). وانظر كذلك رسالته إلى مصطفى النحاس في ١٤/٦/١٩٣٦ [مذكرات الدعوة والداعية، ص(٢٩٣-٢٩٤)].

(٢) جريدة الإخوان المسلمين، العدد (٦)، السنة الأولى، ٢٧ من ربيع الأول ١٣٥٢هـ-٣٠ من يوليو ١٩٣٣.

(٣) جريدة الإخوان المسلمين، العدد (٢١)، ١٨ جمادى الآخرة ١٣٥٣.

٢- **الصورة الثانية**: أن يرد منسابًا في السياق كأنه جزء أصيل أساسي منه، مضيفًا جديدًا في الفكرة أو الصورة، كما نجد في السطور التالية: «.. ألا وإن الموعد يوم الفصل ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَـٰتًا ۝ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ۝ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ۝ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ۝﴾ [النبأ: ١٧-٢٠].

ألا وإن دار المحكمة هي أرض المحشر، وصعيد المنشر ﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ۝ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ۝﴾ [النازعات: ١٣-١٤].

ألا وإن شهودك منك، وبينتك فيك ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ۝﴾ [النور: ٢٤-٢٥].

ألا وإن مستنداتها مدونة ﴿فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۝ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ۝ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ۝ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ۝﴾ [عبس: ١٣-١٦].

.... ألا وإن الجزاء نعيم الأبد للمحسنين، وشقاء الأبد للمسيئين ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَـٰبِيَهْ ۝ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَـٰقٍ حِسَابِيَهْ ۝ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ۝ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ۝ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَـٰبِيَهْ ۝ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ۝ يَـٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ۝ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۜ ۝ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَـٰنِيَهْ ۝ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۝ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ۝﴾ [الحاقة: ١٩-٣٢]»[١].

وينهج الإمام الشهيد النهج نفسه في التعامل مع شواهد الحديث الشريف، فهو قد يؤيد الفكرة ويقويها بحديث نبوي مباشرة، ولكن يأتي غالبًا بعد إيراد آية أو آيات قرآنية تقوم بهذه المهمة، ومثال ذلك -والإمام يتحدث عن موازنة الإنفاق والدخل- يورد قوله -تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٩].

---

(١) جريدة الإخوان المسلمين، العدد (٢)، السنة الأولى، ٢٨ من صفر ١٣٥٢هـ- ٢٢ من يونيو١٩٣٣.

وبعدها يورد قول رسول الله ﷺ: «**ما عال من اقتصد**»، وقوله: «**نعم المال الصالح للرجل الصالح**»[1].

وقد يورد الإمام الشهيد الحديث مستقلاً لتقوية الفكرة وتأكيدها، دون أن يكون تاليًا لآية قرآنية، من ذلك ما كتبه الإمام الشهيد:

«.. فقد أخذ الله الموثق على أهل العلم، وورثة الكتاب أن يبينوه للناس ولا يكتموه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإفشاء النصيحة من لب هذا الدين وصميمه، ونادى بها رسول الله ﷺ فقال: «**يا أيها الناس، مروا بالمعروف، وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوا الله فلا يستجاب لكم، وقبل أن تستغفروه فلا يغفر لكم، إن الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر لا يدفع رزقًا، ولا يقرب أجلاً**»[2].

وقد يكون قريبًا من الاستطراد أن نشير في هذا المقام إلى أن الإمام الشهيد كان له وقفة متأنية أمام عدد من الأحاديث النبوية، أغلبها من «جوامع الكلم»، ومن هذه الأحاديث:

- المرء كثير بأخيه.
- لا خير في صحبة من لا يرى لك مثل الذي يرى لنفسه.
- المسلمون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، ويرد عليهم أقصاهم، وهم يدٌ على من سواهم.
- اليد العليا خير من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول.
- الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة.
- ما أملق تاجر صدوق.
- ما قل وكفى خير مما كثر وألهى.
- يحمل هذا العلْمَ من كل خلف عدولُه، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين.

وما قام به الإمام الشهيد في تعامله مع هذه الأحاديث -وهناك غيرها- يتلخص فيما يأتي:

١- توضيحها، وذكر مناسباتها، وشرحها شرحًا موجزًا.
٢- توثيقها، وبيان مدى صحتها متْنًا وسندًا.

---

(١) رسالة نحو النور، ص(٨٢).

(٢) جريدة الإخوان المسلمين اليومية، العدد (١٢)، السنة الأولى، ١٦ من جمادى الآخرة ١٣٦٥- ١٧ من مايو ١٩٤٦.

ووراء هذا العمل الكبير دافع قوي ذكره الإمام الشهيد في مطلع مقاله خلاصته أن هذه الأحاديث -ومعها غيرها- وردت في مذكرة الأدب العربي المقررة على طلاب السنة الأولى من كلية الحقوق، وقد طُلب منه أن يتناولها ببعض الشرح تسهيلاً على حضرات الطلاب، وإفادة لحضرات القراء. وختم هذا التقديم بقوله: «.. ورجاؤنا إلى حضرات المربين الكبار أساتذة الأدب بالكلية أن يعتمدوا في نقل الأحاديث على كتبها المعتمدة الفنية، ففيها الكثير الطيب مع الطمأنينة إلى صحتها وحجيتها، وأما ما يذكر في كتب الأدب من ذلك ففيه نظر؟»[1].

وفي تضاعيف الشرح ترى الإمام الشهيد يورد عددًا كبيرا من الشواهد القرآنية والأحاديث النبوية، وأقوال السلف، والشواهد الشعرية، والوقائع التاريخية.

كما نبه -في مقدمته- إلى أهم ملمح من ملامح المنهج العلمي، وهو الاعتماد على المصادر الأصيلة للمادة العلمية لا على المراجع الوسيطة.

ومن الشواهد كثير من أقوال الصحابة والسلف الصالح، ففي سياق حديثه عن إنسانية القتال في الإسلام يستشهد بوصية أبي بكر ﷺ لجيشه، وفيها يقول:

«لا تغدروا، ولا تغلوا، ولا تمثلوا، ولا تتبعوا مدبرًا، ولا تجهزوا على جريح، ولا تقتلوا طفلاً، ولا امرأة، ولا شيخًا كبيرًا، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تعقروا بعيرًا إلا للأكل، وستمرون على قوم ترهّبوا في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له»[2].

ومن أقوال السلف ما قاله ابن عطاء الله السكندري:

«يخفف ألـمَ البلاء عليك علمُك بأنه -تعالى- هو المبتلي لك، فالذي واجهتْك منه الأقدار هو الذي أشهدك حسن الاختبار»[3].

وما قاله أبو يزيد البسطامي: «المتقي من إذا قال قال لله، ومن إذا عمل عمل لله»[4].

وقال سهل بن عبد الله: «لا معين إلا الله، ولا دليلَ إلا رسوله، ولا زاد إلا التقوى، ولا عمل إلا الصبر عليه»[5].

---

(١) جريدة الإخوان المسلمين الأسبوعية، العدد (٣)، السنة الثالثة، ٢٧ من المحرم ١٣٥٤- ٣٠ أبريل ١٩٣٥.

(٢) جريدة الإخوان المسلمين، العدد (٥)، السنة الرابعة، ٢١ من صفر ١٣٥٥هـ- ١٢ من مايو ١٩٣٦م.

(٣) جريدة الإخوان المسلمين، العدد (١٤)، السنة الرابعة، ٢٥ من ربيع الآخر١٣٥٥- ١٤ من يوليو ١٩٣٦.

(٤) من تفسير الشهاب- الكتاب الثاني من تراث الإمام البنا (التفسير)، دار الدعوة، الإسكندرية، ٢٠٠٥، ص(٢٥٩-٢٦٠).

(٥) السابق، ص(٢٥٩-٢٦٠).

ويورد الإمام الشهيد بعض أقوال العلماء الغربيين في مدى قدرات العقل، وما وصل إليه، ومن هؤلاء: جوستاف لوبون، وداروِن، ووليم جيمس، ووليم كروكس، وكاميل فلامريون، وأندريه كريسون[1].

ومن الشهادات المنصفة للإسلام وللرسول ﷺ قول جورج برنارد شو:

«ما أشد حاجة العالم في عصره الحديث إلى رجل كمحمد يحل مشكلته القائمة المعقدة، بينما يتناول فنجانًا من القهوة»[2].

ويستشهد الإمام الشهيد بكثير من الوقائع التاريخية وخصوصًا في مقام تفسيره للقرآن، وهو يقصد بإيراد مثل هذه الوقائع إلى تحقيق ما يأتي:

١- تأكيد المضمون القرآني، والمعطيات الإسلامية في مجال العقيدة والسياسة والمجتمع والأخلاق.

٢- إثارة المشاعر الدينية، واستنهاض المسلمين لإثبات وجودهم، ونيل حقوقهم، واحتلال المكانة اللائقة بهم، وذلك بربط الحاضر المعيش -وهو حاضر منكسر مقهور- بالماضي المجيد في عهوده الزاهية المنتصرة.

فبعد تصديره واحدًا من مقالاته [3] بقوله -تعالى: ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ۝﴾ [الأنفال: ٧٢-٧٣].

يقدم الرواية الآتية:

في عهد مضى أعاد الله علينا دولته قال الراوي: «دخلتُ القسطنطينية تاجرًا في عهد عمر بن عبد العزيز، فأخذت أطوف في بعض سككها حتى انتهى بي المطاف إلى فناء واسع، رأيت فيه رجلاً أعمى، يدير الرحى وهو يقرأ القرآن، فعجبت في نفسي، في القسطنطينية رجل أعمى يتكلم العربية، ويدير الرحى، ويقرأ القرآن!! إنه لنبأ!! فدنوت منه وسلمت عليه بالعربية، فرد السلام، فقلت: من أنت يرحمك الله؟ ما نبؤك؟ فقال: أسير من المسلمين

---

(١) انظر: السابق، ص(٨٦-٩٠).

(٢) رسالة: نحو النور، ص(٧٢).

(٣) المقال بعنوان: «واعمراه.. وا معتصماه» [جريدة الإخوان المسلمين اليومية، العدد (٦٠٩)، السنة الثانية، ١٤ من جمادى الآخرة ١٣٦٧هـ- ٢٣ من أبريل ١٩٤٨م].

أسرني هذا الرومي، وعاد بي إلى بلده، ففقأ عيني، وجعلني هكذا أدير الرحى، حتى يأتي أمر الله. فسألته عن اسمه وبلده وقبيلته ونسبه، وما كان لي من عمل حين عدت قبل أن طرقت باب أمير المؤمنين، وأخبرته الخبر، فاحتقن وجهه، واحتدم غضبًا، ودعا بدواة، وكتب إلى ملك الروم: «قد بلغني من الآن كذا وكذا، وإنكم بذلك قد نقضتم ما بيننا وبينكم من عهد: أن تسلموا كل أسير من المسلمين. فوالله الذي لا إله إلا هو لئن لم ترسل إلي بهذا الأسير لأبعثن إليك بجنود يكون أولها عندك، وآخرها عندي».

ودعا برسول فسلمه الكتاب، وأمره ألا يضيع وقتا في غير ضرورة حتى يصل، ودخل الرسول على ملك الروم، وسلمه الكتاب، فاصفر وجهه، وأقسم أنه ما علم من أمر هذا الأسير شيئًا. وقال: لا نكلف الرجل الصالح عناء الحرب، ولكننا نبعث إليه بأسيره معززًا مكرمًا. وقد كان».

وفي بيان بليغ آسر يربط الإمام الشهيد هذه الواقعة بنكبة فلسطين فيختم مقاله بالكلمات المتوهجة الآتية:

«أيها العرب والمسلمون، لم تعد المسألة مسألة أسير، ولا أسيرة، ولكنها أصبحت أكبر وأضخم، وأجل وأعظم، إنها قضية الحياة والشرف والكرامة والوجود لشعب بأسره، احتضنته الأمة العربية كلها، وتظاهرت على نصرته جهود العالم الإسلامي في أقطار الأرض، ثم هي قضية مستقبل الأرض المباركة والمسجد الأقصى، ثالث الحرمين وأولى القبلتين.

فاذكروا فظائع اليهود الوحشية في قرية دير ياسين، وقرية ناصر الدين، وقرية أبو زريق.. وقرية ساريس، ثم اذكروا حيفا إحدى عواصم فلسطين الثلاث، واذكروا ما بعدها إن ظللتم قاعدين، ثم انظروا ما أنتم فاعلون؟ ولا يكن حظكم من الانتصار لهذه المواطن الذبيحة أن تصيحوا : واعمراه.. وامعتصماه..»[(١)].

ويكثر الإمام الشهيد في تضاعيف خطبه ومقالاته ورسائله من الشواهد الشعرية التراثية أغلبها الغالب يرد صريحًا، وقلة قليلة تأتي على سبيل التلميح[(٢)]، كما نرى في ختام رسالته إلى رئيس الحكومة محمود فهمي النقراشي في ٥/ ١/ ١٩٤٧[(٣)]:

---

(١) جريدة الإخوان المسلمين، العدد (٦٠٩)، السنة (٢)، ١٤ جمادى الآخرة ١٣٦٧هـ- ٢٣ أبريل١٩٤٨.

(٢) التلميح -اصطلاحًا- يعني: الإيماء المباشر أو غير المباشر -في الشعر والنثر- إلى قصة معلومة أو مثل سائر أو بيت مشهور من الشعر من غير تفصيل. [انظر معجم البلاغة العربية، ص(٦٢٠)- والمعجم المفصل في الأدب، (١/ ٢٨١)].

(٣) انظر نص الرسالة في: الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ، (١/ ٣٨٧-٣٨٩).

«وأقْدم، ولا تتردد، فتفلت الفرصة السانحة، ونعود من جديد إلى التجارب القاسية، ونستبين النصح ضحى الغد..»، فالجملة الأخيرة تلميح إلى قول الشاعر:

أمرتُهمــو أمــري بمنعــرج اللِّــوَى ... فلم يستبينوا النصحَ إلى ضحى الغـد[1]

ولكن الغالبية العظمى من الشواهد الشعرية تأتي صريحة مباشرة، فمنهـا مـا يـورده للتوضيح اللغوي، والاحتجاج للمعنى، كالاحتجاج للتقوى بمعنى الحماية ببيت أبي حية النميري:

فألقت قناعًا دونه الشـمس واتّقـتْ ... بأحسنِ موصـولين كـفٌ ومعْصـمِ[2]

وللصلاة -بمعنى: الدعاء- بقول الأعشى (ميمون بن قيس):

تقـول بـنتي وقـد قرّبـتُ مـرتحلاً ... يا رب جنّب أبي الأوصابَ والوجَعا

عليك مثل الذي صلّيتِ فاغتمضـي ... نومًـا فـإن لجنـب المرء مُضـطجعا[3]

وفي تفسيره لقوله -تعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا﴾ [الرعد: ٣] يقول الإمام البنا: الرواسي: الجبال الثوابت، وهي جمع راسية، والإرساء: الثبوت. قال جميل:

أحبهـا والـذي أرسـى قواعَـدهُ ... حتـى إذا ظهـرتْ آياتُـه بَطَنـا

وأنشدوا من قول زيد بن عمرو بن نفيل:

وأسـلمتُ وجهـي لمـن أسـلمتْ ... لـه الأرض تحمـل صـخرًا ثقـالا

دحاهـا فلمـا اسـتوتْ شـدها ... بأيـدٍ وأرسـى عليهـا الجبـالا[4]

وقد يسوق الأبيات التي تمثل واقعة تاريخية، من ذلـك أن قريشًـا نقضـت عهـدها بعـد الحديبية، واعتدى حلفاؤها من بني بكر على حلفاء رسول الله ﷺ مـن خزاعـة، فناصـرتهم وآزرتهم ولم تزجـرهم ولم تـردعْهم، فـانطلق عمـرو بـن سـالم الخزاعـي إلى رسـول الله ﷺ يستنصره، وأنشد بين يديه الأبيات التالية:

يـا رب إنـي ناشـدُ محمـدًا ... حلـفَ أبينـا وأبيـه الأتْلـدا

---

(١) البيت لدريد بن الصمة، استشهد به على بن أبي طالب -كرم الله وجهه. [انظر: نهج البلاغة، دار الأضواء، بيروت، ١٩٨٦، ص(٢٣)].

(٢) البيت لأبي حية النميرى. وانظر: الكتاب الثاني من سلسلة تراث الإمام البنا (التفسير)، ص(٢٨٩).

(٣) انظر: السابق، ص(٢٦٧).

(٤) مجلة المنار، العدد (٧)، المجلد (٣٥)، ربيع الأول ١٣٥٩هـ- أبريل ١٩٤٠- وانظر: نظرات في كتاب الله، تحقيق: عصام تليمة، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ٢٠٠٢، ص(٣٨١).

قــد كنتمــو ولــدًا وكنــا والــدا	ثُمّــتَ أســلَمنا فلــم ننــزعْ يــدا
فانصــر هــداك الله نصــرًا أعتــدا	وادعُ عبــاد الله يــأتوا مــددا
فــيهم رســول الله قــد تجــردا	إن ســيم خســفًا وجهُــهُ تربّــدا
في فيلــق كــالبحر يجــري مُزبــدا	إن قريشًــا أخلفــوك الموعــدا
ونقضــوا ميثاقــك المؤكــدا	وجعلــوا لــي في كــداءٍ رُصَّــدا
وزعمــوا أن لســتُ أدعــو أحــد	وهــم أذل وأقــل عــددا
هــم بيوتنــا بــالوتير هجَّــدا	وقتلونــا ركَّعًــا وســجّدا

فقال رسول الله ﷺ: «**لا نصرتُ إن لم أنصركم**»، وتجهز سنة ثمان من الهجرة، وكان فتح مكة[١].

وفي سياق تفسيره للآية الثانية من سورة الرعد ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ [الرعد: ٢] يورد أربعة عشر بيتًا للشاعر الجاهلي أمية بن أبي الصلت، تفيد الاستدلال على قدرة الله، وعجيب صنعه برفع السماء بغير عمد، بدأها بقوله:

إلى الله أهــدي مِــدْحتي وثنائيــا	وقــولاً رضــيًّا لا يــني الــدهرَ باقيــا

وختمها بقوله:

فــرب العبــادِ ألــقِ ســيْبًا ورحمــةً	علــيَّ وبــارك في بــنيّ وماليــا[٢]

ويورد في كتاباته من الشواهد الشعرية ما يدل على حب الوطن والاعتزاز به، فظل عالقا بمحافظته ما كانت الجماهير تردده -في قوة وحماسة- من أناشيد في ثورة ١٩١٩، وكان هو في الثالثة عشرة من عمره، ومنها:

حــب الأوطــانِ مــن الإيمــان	وروح الله تنادينـــــــــــــــا
إنِ لم يجمعنـــا الاســـتقلال	ففـــي الفـــردوس تلاقينـــا

ويرد هذا الشعور النبيل إلى أصل تراثي إسلامي «فحب المدينة لم يمنع رسول الله ﷺ -بعد الهجرة- من أن يحن إلى مكة، وأن يقول لأصيل -أحد الصحابة، وقد أخذ يصفها: «**يا أصيل دع القلوب تقر**»، وأن يجعل بلالاً يهتف من قرارة نفسه:

---

(١) مجلة الإخوان المسلمين الأسبوعية- العدد (١٧٠)، السنة الخامسة، ١٢ من ذي القعدة ١٣٦٦- ٢٧ من سبتمبر١٩٤٧، وانظر: نظرات في كتاب الله، ص(٢٤٨).

(٢) انظر: الكتاب الثاني من تراث الإمام البنا (التفسير)، ص(٩٣-٩٤).

ألا ليت شعري هل أبيتنَّ ليلةً بواد وحولي إذْخر وجليلُ
وهل أردَنْ يومًا مياه مجّنةٍ وهل يبدونْ لي شامة وطفيل[1]

ولكن يأتي الإسلام في المرتبة الأولى قبل الوطن، فإن شئت فقل: إن الإسلام وطن وقومية وجنسية، ومن هذا المعتقد يولد الاعتزاز بالدين والتمسك به تمسك اعتزاز وعمل.

ويوظف الإمام الشهيد من الشواهد الشعرية ما يؤيد ذلك ويدعو إليه، «.. فقد فضّل السلف الصالح أن يرفعوا نسبتهم إلى الله -تبارك وتعالى، ويجعلوا أساس صلاتهم، ومحور أعمالهم تحقيق هذه النسبة الشريفة، فينادي أحدهم صاحبه:

لا تدْعني إلا بيا عبدَها فإنه أشرفُ أسمائي

في حين يجيب الآخر من سأله عن أبيه أتميمي هو أم قيسي؟

أبي الإسلام لا أبَ لي سواهُ إذا افتخروا بقيس أو تميم

والظلم ظلمات، والرضاء بالظلم والتسليم له جريمة لا تقل بشاعة عن جناية الظالم، ويستشهد الإمام بهذا البيت القديم:

نفلّق هامًا من رجالٍ أعزّةٍ علينا وهم كانوا أعقّ وأظلما

فإذا عجز المظلوم عن دفع الظلم، فعليه أن يهاجر إلى حيث يجد العدل والأمن في كرامة وعزة نفس، وفي ذلك يقول الشاعر القديم:

إذا أنكرتني بلدةٌ أو نكرتُها خرجتُ مع البازي عَليّ سوادُ[2]

ويرى الإمام الشهيد أن المرأة يجب أن تُهذّب وتعد وتهيأ لتكون زوجة وأمًّا قبل كل شيء، ويسوق وصية أبي العلاء المعري في هذا المقام:

علموهن الغزْلَ والنسجْ والردْ ن وخلّوا كتابة وقراءةْ
فصلاة الفتاة بالحمد والإخلا صِ تجزي عن يونس وبراءة[3]

ويعلق الإمام على هذين البيتين بقوله: «ونحن نريد أن نقف عند هذا الحد، ولا نريد ما يريد أولئك المغالون المفرطون في تحميل المرأة ما لا حاجة لها به من أنواع الدراسات، ولكنا نقول: علموا المرأة ما هي في حاجة إليه بحكم مهمتها ووظيفتها التي خلقها الله لها: تدبير المنزل، ورعاية الطفل»[4].

---

(١) مجموعة رسائل الإمام الشهيد، ص(٢٥).
(٢) السابق، ص(٣٥٣).
(٣) السابق، ص(٢٩٩)- والردن: صناعة الملابس.
(٤) السابق، نفس الصفحة.

فالحد المعقول في شأن المرأة هو حد الوسط -بلا تفريط أو إفراط- أو هو -بتعبير آخر- ترتيب أولويات.

ويكثر الإمام الشهيد من شواهد الشعر القديم والحديث ما يستبطن أخلاق الناس وطباعَهم، ومنها:

- لعمرك ما ضاقتْ بلاد بأهلها ... ولكن أخلاق الرجال تضيقُ[1]

- وشافي الناس من نزعات شر ... كشافٍ من طبائعها الذئابا[2]

وزهدني في الناس معرفتي بهم ... وطول اختباري صاحبًا بعد صاحب

فلم تُرني الأيامُ خلاً تسرني ... مباديه إلا ساءني في العواقبِ[3]

وغير ما يورده الإمام من شعر حسان بن ثابت والمتنبي والبوصيري[4] نراه يتمثل كثيرًا بشعر أحمد شوقي مثل قوله:

ولد الهدى فالكائنات ضياء ... وفم الزمان تبسم وسناء

الروح والملأ الملائك حوله ... للدين والدنيا به بشراء[5]

وقوله:

والحق والإيمان إن صبا على ... برد ففيه كتيبة خرساء[6]

وقوله:

ولا أزيدك بالإسلام معرفة ... كل المروءة في الإسلام والحسب[7]

ومن فضول القول أن ننبه إلى أن الإمام المرشد لم يورد هذه الشواهد مجردة، ولكن ساقها مرتبطة بوقائع ومناسبات ومواقف، فجاءت في السياق متوافقة دون تعمّل أو تعسف وتكلف، وذلك لتأكيد المضمون، وتقويته، والإقناع به، وقد تضيف إلى المضمون أفكارًا جديدة لم تردْ في السياق، وتبقى دلالتها الذاتية واضحة، وهي قوة حافظة الإمام الشهيد، وسعة اطلاعه وحضور بديهته وحماسته لموضوعاته، واعتزازه بالتراث الأدبي؟

---

(١) السابق، ص(١٦٨).

(٢) مذكرات الدعوة والداعية، ص(١٧٤).

(٣) مجموعة الرسائل، ص(٣٥٢).

(٤) انظر: الكتاب السادس من سلسلة من تراث الإمام البنا (المناسبات الإسلامية)، ص(١٥٩، ١٦٥، ١٥٢) (بالترتيب).

(٥) مجلة الإخوان الأسبوعية، العدد (١٨٤)، السنة السادسة، ٢٠من ربيع الأول ١٣٦٧هـ- ٣١ يناير ١٩٤٨.

(٦) السابق، العدد (٢)، السنة الثانية، ٢٦ من المحرم ١٣٥٣هـ- ١١ من مايو ١٩٣٤م.

(٧) نفس المصدر.

الفصل الخامس: العاطفة

العاطفة: هي الحالة الوجدانية للمبدع من فرح وحزن وحب وكراهية، وتفاؤل وتشاؤم وغيرها، وهي عنصر أسلوبي مهم جدًا، يحس دون أن يشرح، أو يعرض عرضًا مباشرًا صريحًا، وهي الدافع والباعث وراء كل إبداع.

ويستدل على قوتها من براعة الأسلوب وقوة الخيال وجمال الصور واستخدام اللفظ المناسب، ومناسبته لمعناه، يضاف إليها في الشعر الموسيقى والقافية والبحر. أي أن قوة العاطفة تظهر في كل شيء من عمل الأديب[1].

وفي أغلب أدبيات الإمام نحس بعاطفة قوية مشتركة هي عاطفة الاعتزاز بالإسلام، والإيمان المطلق بقيمه ومبادئه ومعطياته، وكثيرًا ما نحس بهذه العاطفة حارة متوهجة، كما نرى في النص التالي:

«.. يا قومنا هلموا إلى منهج الحق، وطريق الهداية،
ولسان الصدق، والصراط السوي الذي إن
اتبعتموه لن تضلوا بعده أبدًا، فإن أبيتم إلا
أن تتخبطوا في دياجير الحيرة، وتضيعوا الوقت
في التجارب الفاشلة، والمناهج القاتلة، فإن
الله سيقتص منكم، وسيأتي بمن ينفذ منهجه،
ويسير على كتابه غيركم، ثم لا يكونوا أمثالكم،

وما أقول لكم إلا ما قال النبي صالح من قبل: ﴿يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي﴾ [طه: ٩٠]»[2].

ورسائل الإمام -العامة والخاصة- هي أشحن أدبياته وأعمرها بالعاطفة، لذلك نرى أن نقف أمامها وقفة متأنية: أغلب هذه الرسائل -كما رأينا- ترتبط بموضوعات ذات علاقة قوية بالدين والمجتمع، والقضايا العربية والمصرية. ومن ناحية أخرى يرتبط أغلبها

---

(١) انظر: الشامل، ص(٥٨٥)- وكذلك: أحمد الشايب: الأسلوب، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثامنة، القاهرة ١٩٨٨، ص(٥٢). هذا، ويفرق علماء النفس وبعض النقاد بين العاطفة والانفعال والشعور تفريقًا لا يخلو أحيانًا من تعسف وحدّة وافتعال.

(٢) جريدة الإخوان المسلمين الأسبوعية، العدد (٣١)، السنة الأولى، ٢٢ ذو القعدة ١٣٥٢هـ- ٨ من مارس ١٩٣٤م.

بمناسبات تاريخية محددة كواقعة، أو وقائع تشغل شريحة زمانية معينة، وإن استطاع الإمام البنا أن يخرج «بالعلاج الخاص» إلى حدود أوسع حتى يصبح العلاج علاجًا «نوعيًّا» في أقطار النفس والمجتمع والسياسة.

وهذه المقولة تقودنا إلى حقيقة مؤكدة، وهي أن وراء هذه الرسائل نوعين من الدوافع:

النوع الأول: دوافع عقلية متزنة، اعتمدت على دراسة الواقع، وما فيه من استقامة أو سقوط وانحراف، فهي دراسة تقوم على استقراء الحسِّي المشهود، ومقارنته بالمطلوب المنشود، وهذا «المطلوب» -مهما قيل في مثاليته- لا يخرج عن «دائرة الممكن»، فهو -وما دار في فلكه- ثابت الوقوع في عهد النبوة والخلافة الراشدة.

والنوع الثاني: دوافع نفسية عاطفية يمكن إجمالها في الغيرة على الإسلام والقيم والوطن والأرض العربية والإسلامية، والخوف من انحراف الأمة، وخصوصًا شبابها، والغضب لانتهاك حقوقها.

وكلها عواطف لا يتخلى عنها شعور التفاؤل والتفتح والطموح إلى تحقيق أمل يداعب النفوس والقلوب والعقول.

هذا هو الخط الشعوري الذي يسري في أعطاف هذه الرسائل، ولكن هذا الخط -في رسمه البياني- لا يأخذ اتجاهًا مستقيمًا دائمًا، بل نراه يتمتع بحظ من الارتفاع والانخفاض الانفعالي بنسب مختلفة، وهو في كل الحالات محكوم بقاعدة المصداقية دون تزييف أو مغالاة وشطط وإسراف، مع مراعاة مقتضى الحال بمفهومها الشامل: بالنسبة للموضوع، والشخصية، والموقف، والمركز الاجتماعي، والجو المهيمن على الساحة آنذاك.

وقد شرحنا «مقتضى الحال» أو الاعتبار المناسب من قبل.

وفي مجال عرض المبادئ والقضايا، وشرح المفاهيم، وتشخيص الأدواء، وتقديم العلاج والحلول من نافذة الإسلام، كما ترى في رسالة «نحو النور» الموجهة إلى الملوك والرؤساء، وذوي المكانات تدعوهم إلى أخذ نفوسهم وشعوبهم بالقيم والأخلاقيات الإسلامية، وتحكيم الإسلام في كل مجالات الحياة، نعيش مع أسلوب تغلب عليه طوابع الأسلوب العلمي بما فيه من مباشرية ووضوح وتقسيم وتصنيف، وترقيم، واستخدام المصطلحات العلمية والشرعية والسياسية بلا إسراف، في هذا المجال تتنحى العاطفة من السياق ليهيمن الطابع العقلاني، معتمدًا على ركيزتين:

الركيزة الأولى: الاستقراء النصِّي: وذلك بحشد النصوص القرآنية والأحاديث النبوية لتدعيم المقولات والأحكام التي يسوقها الكاتب.

والركيزة الثانية: الاستقراء التاريخي للوقائع والأحداث السياسية والاجتماعية، والسنن الكونية، واستخلاص النتائج والدروس والعبر منها دون تعسف أو افتعال.

فالإقناع هنا هو المطلب الأساسي في مثل هذه الرسالة، ومخاطبة العقل هنا أجدى من مخاطبة العاطفة، ويرجع ذلك إلى طبيعة الموضوع من ناحية، وطبيعة المخاطبين به من ناحية أخرى، فهم في بسطة من العقل والثقافة والحنكة والدربة والمكانة الاجتماعية والسياسية، فلا عجب إذن أن يأتي توهج العقل والفكر أقوى من حرارة العاطفة والشعور.

وهذا الطابع واضح في رسالة نحو النور -كما ذكرنا- ورسالة المرشد إلى الملك فؤاد لصد تيار التبشير، ورسالته إلى رئيس الوزراء محمد نسيم ووزير أشغاله من أجل بناء مسجد البرلمان، ورسالته إلى عمر طوسون والأنبا يؤنس من أجل فلسطين، ورسالته إلى علي ماهر في كيفية توجيه المعونة للمحتاجين، ورسالته إليه عند قيام الحرب العالمية الثانية.

وقد يسري في أعطاف بعض الرسائل شعور بالتقدير والتوقير والتبجيل والتعظيم ينعكس في عبارات من الثناء والتقريظ، مع تبرير هذا الشعور وتقديم مسوغاته، كما نرى في بعض عبارات الرسائل الوجهة إلى كل من الأمير عمر طوسون، والأنبا يؤنس لحرصهما على العمل الإنساني المقدم إلى ضحايا العدوان الأجنبي من الأحباش، ومصطفى النحاس حين أشاد النحاس بالصراحة والتعاون والإخلاص، ودعوته الأمة إلى التعاون الجاد الصادق مع الحكومة.

وقد تتداعى المشاعر فترد معللة بلا تناقض: ففي مقام الثناء والإشادة بجهود الأنبا يؤنس وعمله الإنساني وشعوره الأبوي تفيض رسالة الإمام بالأسى والنقمة على الصهاينة الذين صبوا عدوانهم على أهل فلسطين «**فخرّبتْ ديارُهم، وعطّلت مصالحهم، وقضيَ على مواردِ رزقهم**»، ويحاول اليهود بعملهم هذا أن يستولوا على بيت المقدس، وعلى غيره من الأماكن المقدسة التي أجمع المسلمون والمسيحيون على تقديسها وإكبارها والذود عنها[1].

وفي بعض الرسائل تعلو نبرة الغضب فتكتسي ثوب التهديد، كما نرى في رسالة المرشد الشهيد إلى السفير البريطاني في ٢ من نوفمبر ١٩٣٧، فيقول: إن الإخوان «**مُضْطَرون إلى أن يسجلوا احتجاجهم الصارخ على هذه السياسة الجائرة..** »، وتبلغ هذه

(١) انظر: مذكرات الدعوة والداعية، ص(٢٨٢-٢٨٣).

النبرة القوية أعلى درجاتها حين يقول الإمام ضمن ختام الرسالة: «..**لابد من الانفجار يومًا للشعور المكبوت..** »[1].

وتتوهج عاطفة الغضب ممزوجة بالحزن والأسى في رسالة التصوير المأساوي الواقعي لمجتمعنا، تلك الرسالة التي وجهها الإمام الشهيد إلى الملك فاروق، وقد انعكست هذه المشاعر في جمل قصيرة حادة، جاءت كأنها أحكام إدانة حاسمة للحكام والمسئولين الكبار عن المجتمع المصري «**حدود اللهِ معطلة.. أحكامه مهمَلَة.. بُؤَر الخمور، ودور الفجور، وصالات الرقص، ومظاهر المجون تغْشى كلَّ مكان**».

ثم تنتهي الرسالة بهذا الأمر القارع الصاخّ «**قُلها كلمةً مُنَفَّذة، وأصدرْهُ أمرًا ملكيًّا ألا يكون في مصر المسلمة إلا ما يتفقُ مع الإسلام**»[2].

وفي فلك هذا الشعور تدور الرسالة الثانية الموجهة إلى صدقي باشا رئيس الحكومة في ٨ من أكتوبر سنة ١٩٤٦ بعد أن غدرَ بالشعب، ومالأَ المستعمر، ولم يَفِ بما وعد. ويتضح هذا الشعور الدافق الغاضب في مثل العبارات الآتية:

«.. **ولكن حكومةَ دولتكم أصرَّتْ إصرارًا عجيبًا على موقفها الضعيف المتخاذل، وأخذت تكبت شعور الهيئات والجماعات والأفراد، وتصادر الحريات...**».

«.. **وقد تُضَامَنْتمْ -بقصدٍ أو بغير قصد- مع الغاصبين في الاعتداء على استقلال الوطن وحرمته..**».

«.. **وعليكم أن تَدعُوا أعباءَ الحكم لمنْ هو أقدرُ منكم على سلوك النهج القويم**»[3].

وكان آخر ما كتب الإمام الشهيد بإطلاق، أو على الأقل آخر ما كتب من الرسائل رسالته التي وجهها إلى الإخوان جميعًا بصفتهم لا بأسمائهم، وهي رسالة تتدفق بشعور الأب الذي ابتعد عن الدنيا، واقترب من الرفيق الأعلى، فعانقته أيام الاحتضار أو ساعاته، ولكن لم تأخذه سكرة أو ذهول، بل غمرته موجات من الإيمان والثقة والطمأنينة، ففاضت مشاعر الأبوة الحانية التي تجيش في نفسه بالتعبير عن حبه وتقديره لهم، وثقته في عزيمتهم وقُدرتهم، فهو لا يحدثهم -وهم جميعًا أبناؤه- إلا بالإخْوة الفضلاء:

---

(١) انظر: السابق، ص(٣٠٣-٣٠٤).

(٢) نشرتها مجلة النذير في ٨ من المحرم١٣٥٨، ولم ترد في مذكرات الإمام أو رسائله. وقد نشرها عبد المتعال الجبري في كتابه: لماذا اغتيل الإمام الشهيد حسن البنا؟، ص(٦٩-٧٠).

(٣) انظر: الإخوان المسلمون، أحداث صنعت التاريخ، (١/ ٣٧٧-٣٧٩).

«أيها الإخوة الفضلاء: أتقدم إليكم جميعًا مهنئًا بما كتب الله لكم من توفيق، وما أجْراه الله على أيديكم من خير، وما اختصكم به من ثبات على كلمة الحق..».

«.. فاذكروا -أيها الإخوان- أنكم الكتيبة المؤمنة التي انتهى إليها في هذا العصر المادي المظلم بالشهوات والأهواء والمطامع واجبُ الدفاع عن كلمات الله ورسالاته.. ».

إنها وصية مودِّع لذا جاءت زاخرة بأنبل التوجيهات:

«.. فإن عليكم أنتم ... أن تتداركوا ما فات، وأن تصلحوا ما أفسد الباشوات والخواجات.. ومهزوم من يحارب الله ويغالب القدر..».

«.. أصلحوا سرائركم، أحسنوا أعمالكم، استقيموا على أمر الله.. استعدوا للبذل والاحتمال والجهاد بالنفس والمال.. اعملوا لوجه الله مخلصين له الدين..».

ويختم وصيته بأن يجعل الإخوان شعارهم النظافة:

«النظافة في الضمير والتفكير، وفي اللسان، وفي السير، وفي الثوب، وفي البدن، وفي المطعم والمشرب، والمظهر والمسكن، والتعامل والمسلك، والقول والعمل، وإن مما أوصى به الرسول -عليه الصلاة والسلام- أمته «تنظفوا حتى تكونوا كالشامة بين الأمم»[1].

ونخلص مما عرضنا من مشاعر الإمام في رسائله حتى وهي في حالة التوهج:

١- أنها لم يكن وراءها -رضاءً وغضبًا- مثيرٌ شخصي أو مصلحة خاصة، بل كان الرضا والغضب والحب والبغض لله والأمة والوطن ومصلحة الدعوة.

٢- أنها -في أية حال من الحالات -لم تدفع الإمام البنا إلى قول الفحش والبذاء، فتعفف لسانه عن مجاراة أعدائه وأعداء دعوته في طريقتهم الفاحشة في حملاتهم، وخصوصًا صحيفة (صوت الأمة) لسان حال الوفد.

٣- أنها لم تُفقد الإمام أثارة من وقاده العقلي، وقدرته على مناقشة الأمور، وإقناع الآخرين؛ فكثيرًا ما كان يخاطب في الآخرين عقولهم وعواطفهم حرصًا على الإقناع والاستمالة، وكثيرًا ما يتلبس الفكر بالعاطفة، فيأتي الكلام مخاطبًا العقل والشعور في آن واحد، ويتحقق الهدف من الرسالة إذا تنوعت العبارات ما بين خبر وإنشاء وحقيقة ومجاز، وهذا الامتزاج يخفف -

---

(١) انظر الرسالة بتمامها في لماذا اغتيل الإمام الشهيد حسن البنا، ص(٢١٣-٢١٦). وقد ذكر المؤلف أنه نقلها من صحيفة «المباحث» الأسبوعية الصادرة في الثامن من ربيع الأخر سنة ١٣٧٠هـ- الموافق ١٦ من يناير ١٩٥١. وكانت «المباحث» هي الصحيفة الناطقة باسم الإخوان آنذاك. وكان يرأس تحريرها صالح عشماوي -رحمه الله.

ولاشك- من جفاف الحقائق المسوقة، كما يجعل الشعور أكثر انضباطًا، كما ترى في العبارات التالية من رسالة الإمام البنا إلى النحاس باشا بعد أن أبدى إعجابه المفرط -في تصريح له- بمصطفى كمال أتاتورك:

«.. ولقد أخذ الكثيرون ممن طالعوا هذا التصريح يتساءلون: هل يُفهم من هذا أن دولة النحاس باشا -وهو الزعيم المسلم الرشيد- يوافق على أن يكون لأمته -بعد الانتهاء من القضية السياسية- برنامج كالبرنامج الكمالي يتولى كل الأوضاع فيها، ويفصلها عن الشرق والشرقيين، ويسقط من يدها لواء الزعامة؟

وإنا نعيذ دولة الرئيس من هذا المقصد الذي نعتقد أنه أبعد الناس عنه»[1].

(١) انظر: مذكرات الدعوة الداعية، ص(٢٩٢-٢٩٤).

كلمة أخيرة

وبعد هذه المسيرة مع أدبيات الإمام الشهيد: أجناسها، ومفهومها، وأبعادها الموضوعية، ومنهج عرضها ومعالجتها، وعلاقاتها بالتوجهات الدعوية والتربوية للإمام الشهيد.

ثم طوابعها وسماتها الفنية والجمالية... بعد هذه المسيرة لا أزعم أنني قد وفيت الموضوع حقه، فلم أترك زيادة لمستزيد، ولكن يكفي أن أقول: إنني فتحت الباب للباحثين، وطلاب الدراسات العليا، أن يعطوا هذا الجانب من أعطيات الإمام الشهيد اهتمامًا وافيًا بأن يكون موضوعًا -بل موضوعات- للأطروحات الجامعية، من ماجستير ودكتوراه.

ولا أبالغ إذا قلت: إن الإمام الشهيد لو تفرغ للأدب بمفهومه الاصطلاحي لكان واحدًا من عمالقة الأدب والنقد في العربية، ولكن من فضل الله على الإسلام والمسلمين أنه لم يحقق للإمام الشهيد هذا التفرغ.

وإذا كان الأفغاني قد أدى دوره في الإيقاظ العام لمشاعر الأمة لمقاومة الاستعمار، وأدى الإمام محمد عبده دوره في إيقاظ عقل الأمة، ومقاومة الجمود الفكري فيها، وقام العلامة رشيد رضا بعدهما بدور كبير غير منكور في التجديد والتأصيل الشرعي لمسيرة الإصلاح، فإن الأمة -كما يقول الدكتور يوسف القرضاوي- كانت تفتقر إلى جيل جديد من ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٣٩]... جيل يحسن فهم الإسلام، ويؤمن به، ويعمل به، ويدعو له، ويجاهد في سبيله، ويعمل على صبغ الحياة العامة بصبغته ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً﴾ [البقرة: ١٣٨].

ولا يقدر على تربية هذا الجيل، وإعداده للمهمة الجليلة المنوطة به إلا رجل رباني، نذر نفسه وفكره وجهده وحياته لله رب العالمين، وكان الرجل المنتظر هو حسن البنا، الذي اصطفته العناية الإلهية ليكون للمتقين إمامًا.

وأراني مدفوعًا في ختام هذا البحث أن أقدم بعض الأبيات الشعرية من قصيدة طويلة نظمتها بمناسبة مضيِّ مائة عام على ميلاد الإمام الشهيد عنوانها: «رسالة إلى الإمام الشهيد حسن البنا»:

....

فرأيناك يا إمامي شموخًا   مشرق الوجه من وراء الزمان

ترفــع الرايــةَ الطمــوحَ عليهــا   مصــحفُ الحــق حولــه ســيفان

فكتــابُ الســماء يســري ضــياءً   في حمــى قــوةٍ مــن الــديّان

مــر قــرنٌ مــن الزمــان تجلــتْ   فيــه -يــا ســيدي- جليــلُ المعــاني

كــل أيامــه انتصــار عظــيمٌ   مثــل بــدرٍ يــوم التقــى الجمعــان

وتربَّــى علــى يــديك شــبابٌ   وشــيوخٌ في عزمــة الشــبان

كلــهم في النهــار فرســانُ حــقٍّ   ومــع الليــل مثلمــا الرهبــان

فيفــيض المحــرابُ نــورًا وتقــوى   إذْ يخــرون فيــه للأذقــان

***

كنــتَ في الفيلــق المَصــورِ إمامًــا   إذ تقــود الإخــوان كالرّبــان

تَمْخُــرُ الصَّــخر في يقــينٍ وعــزْمٍ   واعتــداد بقــوة الإيمــان

لا تهــابُ الإعصــارَ فــالحقّ أقــوى   مــن جيــوش الطغــاة والطغيــان

من صدى الزحفِ قد صحا المشرقان   فاســتجابا وزُلــزل المغربــان

د. جابر قميحة

رمضان ١٤٢٧- أكتوبر ٢٠٠٦

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

الكتب:

١- ابن هشام: السيرة النبوية، مصطفى الحلبي، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م.

٢- أبو هلال العسكري: كتاب الصناعتين، القاهرة، ١٩٥٢.

٣- إحسان عباس: فن السيرة، دار الثقافة، بيروت، الطبعة الثانية.

٤- أحمد الشايب: الأسلوب، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثامنة، القاهرة ١٩٨٨.

٥- أحمد الشايب: الأسلوب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الثامنة، ١٩٨٨.

٦- الأصفهاني: الأغاني، تحقيق: إبراهيم الإبياري، دار الشعب، القاهرة، د.ت.

٧- بدوى طبانة: معجم البلاغة العربية، دار المنارة، جدة، الطبعة الثالثة، ١٩٨٨.

٨- البلاذري: فتوح البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨.

٩- جابر قميحة: أدب الرسائل في صدر الإسلام، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤٠٦-١٩٨٦.

١٠-جابر قميحة: أدب الرسائل في صدر الإسلام، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٦.

١١-جابر قميحة: الإمام الشهيد، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٨.

١٢-الجاحظ: البيان والتبيان، دمشق، الطبعة الثانية، ١٩٦٣.

١٣-جمعة أمين عبد العزيز: التفسير، دار الدعوة، الإسكندرية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م.

١٤-جمعة أمين عبد العزيز: العقيدة والحديث، دار الدعوة، الإسكندرية، ٢٠٠٤.

١٥-جمعة أمين عبد العزيز: الفقه والفتوى، دار الدعوة، الإسكندرية، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

١٦-جمعة أمين عبد العزيز: المناسبات الدينية ومقالات متنوعة، دار الدعوة، الإسكندرية، الطبعة الأولى.

١٧-جمعة أمين عبد العزيز: خواطر من وحي القرآن، دار الدعوة، الإسكندرية، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

١٨-جمعة أمين عبد العزيز: عظات وأحاديث منبرية، دار الدعوة، الإسكندرية، الطبعة الأولى.

١٩-حسن البنا: مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا، دار الدعوة، الإسكندرية، ١٤١٠-١٩٨٩.
٢٠-حسن البنا: مذكرات الدعوة والداعية، دار الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ١٩٩٠.
٢١-حسن البنا: نظرات في كتاب الله للإمام الشهيد حسن البنا، جمعه وعلق عليه وحققه: عصام تليمة، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ٢٠٠٢.
٢٢-حسين فوزي النجار: التاريخ والسير، دار القلم، القاهرة، ١٩٦٤.
٢٣-الخطيب التبريزي: شرح القصائد العشر، المطبعة المنيرية، القاهرة، ١٣٦٩.
٢٤-رفيق حبيب: الاحتجاج الديني والصراع الطبقي في مصر، دار سينا للنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٩.
٢٥-روبير جاكسون: حسن البنا الرجل القرآني، ترجمة: أنور الجندي، المختار الإسلامي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٩٧-١٩٧٧.
٢٦-ريتشارد ب. ميتشل: الإخوان المسلمون، ترجمة الدكتور محمود أبو السعود، دار الوفاء، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٩٩-١٩٧٩.
٢٧-سيد قطب: النقد الأدبي أصوله ومناهجه، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثامنة، ٢٠٠٣.
٢٨-سيد قطب: مشاهد القيامة في القرآن، دار المعارف، القاهرة، ١٩٤٧.
٢٩-الشريف الرضي: نهج البلاغة، دار الأضواء، بيروت، ١٩٨٦.
٣٠-شوقي ضيف: الترجمة الشخصية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٦.
٣١-صلاح فضل: علم الأسلوب، النادي الأدبي الثقافي بجدة، الطبعة الثالثة، أبريل ١٩٨٨.
٣٢-عباس السيسي: في قافلة الإخوان المسلمين، دار الطباعة والنشر والصوتيات، الإسكندرية، الطبعة الثانية، ١٤٠٧-١٩٨٧.
٣٣-عبد المتعال الجبري: لماذا اغتيل الإمام الشهيد حسن البنا، دار الاعتصام، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٩٨-١٩٧٨.
٣٤-عبد الوهاب الكيالي وآخرون: موسوعة السياسة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٠.

٣٥-عمر التلمساني: الملهم الموهوب حسن البنا أستاذ الجيل، دار النصر للطباعة، القاهرة، د.ت.
٣٦-عمر التلمساني: ذكريات لا مذكرات، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٨٥.
٣٧-فريد عبد الخالق: الإخوان المسلمون في ميزان الحق، دار الصحوة، القاهرة، ١٤٠٨- ١٩٨٧.
٣٨-كامل الشريف: الإخوان المسلمون في حرب فلسطين، مكتبة المنار، الأردن، دار الوفاء، المنصورة، مصر، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤- ١٩٨٤.
٣٩-مجدي وهبة: معجم مصطلحات الأدب، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٧٤.
٤٠-مجموعة من الباحثين: الموسوعة العربية الميسرة، دار الشعب، القاهرة، ١٩٦٥.
٤١-محمد التونجي: المعجم المفصل في الأدب، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٣.
٤٢-محمد حسين هيكل: مذكرات في السياسة المصرية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٧.
٤٣-محمد حميد الله: مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، دار الإرشاد، بيروت، الطبعة الثالثة.
٤٤-محمد سعيد إسبر، وبلال جنيدى: الشامل، دار العودة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٥.
٤٥-محمد شوقي زكي: الإخوان المسلمون والمجتمع المصري، مكتبة وهبة، ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م.
٤٦-محمد لبيب البوهي: الإيمان والرجل، دار الطباعة المصرية الحديثة، د.ت.
٤٧-محمد مختار باشا: التوفيقات الإلهامية، الطبعة الأولى، ١٩٨٠.
٤٨-محمود عبد الحليم: الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ، دار الدعوة، الإسكندرية، الطبعة الأولى.
٤٩-المرزباني: الموشح، دار نهضة مصر، ١٩٦٥.
٥٠-مقدمة ابن خلدون، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٩.
٥١-المقريزي: إمتاع الأسماع، القاهرة، ١٩٤١.
٥٢-يحيى إبراهيم: الترجمة الذاتية في الأدب العربي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧٥.

٥٣-يوسف الشاروني: كتاب الاعتبار أول كتاب يؤرخ فيه عربي لنفسه، مجلة العربي الكويتية، مارس، ١٩٦٠.

الصحف والمجلات:

٥٤-جريدة الإخوان المسلمين الأسبوعية، العدد(١)، السنة الأولى، ٢١ من صفر ١٣٥٢- ١٥ يونيو١٩٣٣.

٥٥-جريدة الإخوان المسلمين الأسبوعية، العدد (٢)، السنة الأولى، ٢٨ صفر ١٣٥٢- ٢٢ يونيو ١٩٣٣م.

٥٦-جريدة الإخوان المسلمين الأسبوعية، العدد (٦)، السنة الأولى، ٢٧ من ربيع الأول ١٣٥٢هـ-٣٠ من يوليو ١٩٣٣.

٥٧-جريدة الإخوان المسلمين الأسبوعية، العدد (٩)، السنة الأولى، ١٨ من ربيع الآخر ١٣٥٢- ١٠ من أغسطس ١٩٣٣.

٥٨-جريدة الإخوان المسلمين الأسبوعية، العدد (١٥)، السنة الأولى، غرة جمادى الآخرة، ١٣٥٢-٢١ من سبتمبر ١٩٣٣.

٥٩-جريدة الإخوان المسلمين الأسبوعية، العدد (٣١)، السنة الأولى، ٢٢ ذو القعدة ١٣٥٢هـ- ٨ من مارس ١٩٣٤م.

٦٠-جريدة الإخوان المسلمين الأسبوعية، العدد (١)، السنة الثانية، ١٩محرم ١٣٥٣هـ- ٤مايو ١٩٣٤م.

٦١-جريدة الإخوان المسلمين الأسبوعية، العدد (٢)، السنة الثانية، ٢٦ من المحرم ١٣٥٣هـ- ١١ من مايو ١٩٣٤م.

٦٢-جريدة الإخوان المسلمين الأسبوعية، العدد (١٤)، ٢٨ من ربيع الآخر ١٣٥٣هـ.

٦٣-جريدة الإخوان المسلمين الأسبوعية، العدد (١٦)، السنة الثانية، ١٣ جمادى الأولى١٣٥٣-٢٤ من أغسطس١٩٣٤.

٦٤-جريدة الإخوان المسلمين الأسبوعية، العدد (٢١)، ١٨ جمادى الآخرة ١٣٥٣.

٦٥-جريدة الإخوان المسلمين الأسبوعية، العدد (٣)، السنة الثالثة، ٢٧ من المحرم ١٣٥٤- ٣٠ أبريل ١٩٣٥.

٦٦-جريدة الإخوان المسلمين الأسبوعية، العدد (٦)، السنة الثالثة، ٨ من صفر ١٣٥٤- ٢١ من مايو ١٩٣٥م.

٦٧-جريدة الإخوان المسلمين الأسبوعية، العدد (٥)، السنة الرابعة، ٢١ من صفر ١٣٥٥هـ- ١٢ من مايو ١٩٣٦م.
٦٨-جريدة الإخوان المسلمين الأسبوعية، العدد (١٤)، السنة الرابعة، ٢٥ من ربيع الآخر١٣٥٥- ١٤ من يوليو ١٩٣٦.
٦٩-جريدة الإخوان المسلمين الأسبوعية، العدد (٦)، السنة الخامسة، ١٦ من ربيع الآخر ١٣٥٦هـ.
٧٠-مجلة النذير، العدد (١)، السنة الأولى، ٣٠ من ربيع الأول ١٣٥٧- ٣٠ من مايو ١٩٣٨.
٧١-مجلة النذير ٨ من المحرم١٣٥٨.
٧٢-مجلة المنار، العدد (٧)، المجلد (٣٥)، ربيع الأول ١٣٥٩هـ- أبريل ١٩٤٠.
٧٣-جريدة الإخوان المسلمين الأسبوعية- العدد (١٧٠)، السنة الخامسة، ١٢من ذي القعدة ١٣٦٦- ٢٧ من سبتمبر١٩٤٧.
٧٤-جريدة الإخوان المسلمين الأسبوعية، العدد (١٨٤)، السنة السادسة، ٢٠من ربيع الأول ١٣٦٧هـ- ٣١ يناير ١٩٤٨.
٧٥-جريدة الإخوان المسلمين اليومية، العدد (١٢)، السنة الأولى، ١٦ من جمادى الآخرة ١٣٦٥- ١٧ من مايو ١٩٤٦.
٧٦-جريدة الإخوان المسلمين اليومية، العدد (٢٤)، السنة الأولى، ٣٠ من جمادى الآخرة ١٣٦٥هـ- ٣١ من مايو ١٩٤٦م.
٧٧-جريدة الإخوان المسلمين اليومية، العدد (٢٧١)، السنة الأولى، ٢٨ من ربيع الآخر١٣٦٦هـ- ٢١ من مارس ١٩٤٧م.
٧٨-جريدة الإخوان المسلمين اليومية، العدد (٤٧٧)، السنة الثانية، ٨ من المحرم ١٣٦٧هـ-٢١ من نوفمبر ١٩٤٧م.
٧٩-جريدة الإخوان المسلمين اليومية، العدد (٦٠٩)، السنة (٢)، ١٤ جمادى الآخرة ١٣٦٧هـ- ٢٣ أبريل١٩٤٨.
٨٠-جريدة الإخوان المسلمين اليومية، العدد (٦٠٩)، السنة الثانية، ١٤ من جمادى الآخرة ١٣٦٧هـ- ٢٣ من أبريل ١٩٤٨م.
٨١-جريدة الإخوان المسلمين اليومية، العدد (٦١٥)، السنة الثانية، ٢١ من جمادى الآخرة ١٣٦٧هـ- ٣٠ من أبريل ١٩٤٨م.

٨٢-مجلة الدعوة، العدد الأول، الثلاثاء ٢٢ من ربيع الآخر ١٣٧٠-٣٠ يناير ١٩٥١.
٨٣-مجلة المجتمع، العدد (١٢١٦).

المؤلف في سطور

- دكتور جابر قميحة.
- من مواليد مدينة «المنزلة» بشمال دلتا النيل بجمهورية مصر العربية سنة ١٩٣٤م.
- حاصل على المؤهلات الآتية:
- ليسانس دار العلوم التربوي من كلية دار العلوم- جامعة القاهرة.
- ليسانس الحقوق – من كلية الحقوق – جامعة القاهرة.
- دبلوم عال في الشريعة الإسلامية- من كلية الحقوق- جامعة القاهرة.
- ماجستير في الأدب العربي الحديث من جامعة الكويت.
- دكتواره في الأدب العربي الحديث- من كلية دار العلوم – جامعة القاهرة.
- عمل بالتدريس في الكليات والجامعات الآتية:
- كلية الألسن- جامعة عين شمس.
- جامعة (يل) Yale بولاية (كنكتكت) بالولايات المتحدة.
- الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد (باكستان).
- جامعة الملك فهد للبترول والمعادن (قسم الدراسات الإسلامية والعربية)- الظهران- المملكة العربية السعودية.
- حضر كثيرًا من المؤتمرات العالمية، ومنها:
- مؤتمر الشباب العربي بمدينة (سبرنج فيلد Spring Field) بالولايات المتحدة.
- مؤتمر شباب الجامعات الإسلامية بإسلام آباد.
- مؤتمر رابطة الأدب الإسلامي العالمية -باسطنبول- تركيا.
- مؤتمر «ظاهرة ضعف اللغة العربية في التعليم الجامعي» جامعة الإمام محمد بن سعود- الرياض.
- مؤتمر رابطة الأدب الإسلامي العالمية بالدار البيضاء بالمغرب.
- مؤتمر رابطة الأدب الإسلامي العالمية بأغادير بالمغرب.

عضو في:

- اتحاد الكتاب المصريين- رابطة الأدب الإسلامي العالمية.

الكتب المطبوعة:

١- منهج العقاد في التراجم الأدبية.

٢- أدب الخلفاء الراشدين.

٣- أدب الرسائل في صدر الإسلام.

٤- التقليدية والدرامية في مقامات الحريري.

٥- صوت الإسلام في شعر حافظ إبراهيم.

٦- الشاعر الفلسطيني الشهيد عبد الرحيم محمود، أو: ملحمة الكلمة والدم.

٧- التراث الإنساني في شعر أمل دنقل.

٨- في صحبة المصطفى.

٩- المدخل إلى القيم الإسلامية.

١٠- المعارضة في الإسلام بين النظرية والتطبيق.

١١- الأدب الحديث بين عدالة الموضوعية وجناية التطرف.

١٢- آثار التبشير والاستشراق في الشباب المسلم.

١٣- الزحف المدنس (ديوان شعر).

١٤- لجهاد الأفغان أغني (ديوان شعر).

١٥- حديث عصري إلى أبي أيوب الأنصاري (ديوان شعر).

١٦- لله والحق وفلسطين (ديوان شعر).

١٧- أثر وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية في اللغة العربية.

١٨- الإمام الشهيد حسن البنا بين السهام السوداء وعطاء الرسائل.

١٩- رواية وليمة لأعشاب البحر: في ميزان الإسلام والعقل والأدب.

٢٠- أدبيات الأقصى والدم الفلسطيني.

٢١- الابتلاء وأثره في حياة المسلمين.

٢٢- عزة المسلم.

٢٣- فلسطين.. مأساة ونضالاً في شعر الشباب.

٢٤- على هؤلاء بشعري بكيت (ديوان شعر).

٢٥- محكمة الهزل العليا (مسرحية شعرية).

٢٦- أسماء الله الحسنى (ديوان شعر مترجم عن ديوان: To God Belong THE NAMES Mostbeautiful للشاعرة الباكستانية: (NEYYAR EHSAN RASHID)

٢٧- حسبكم الله ونعم الوكيل (ديوان شعر).

البحوث المنشورة في مجلات:

عشرات من البحوث والمقالات نُشرت فى المجلات الآتية:

١- مجلة الدارة (سعودية فصلية محكمة).

٢- مجلة الدراسات العربية (مصرية فصلية محكمة).

٣- مجلة الدراسات الإسلامية (فصلية باكستانية محكمة).

٤- مجلة الشعر (مصرية شهرية).

٥- مجلة الفيصل (سعودية شهرية).

٦- مجلة الحرس الوطني (سعودية شهرية).

٧- المجلة العربية (سعودية شهرية).

٨- مجلة المنهل (سعودية شهرية).

٩- مجلة الوعي الإسلامي (كويتية شهرية).

١٠- مجلة المجتمع (كويتية أسبوعية).

١١- مجلة المنتدى (تصدر في دبي- شهرية).

١٢- المسلمون (سعودية أسبوعية).

١٣- مجلة القدس (القاهرة- شهرية).

١٤- مجلة الزهور (القاهرة- شهرية).

١٥- مجلة الرسالة (القاهرة - فصلية)

والحمد لله رب العالمين

الفهرس

الفهرس

الموضوع	الصفحة

هذا الكتاب

فريد في بابه .. جديد في موضوعه ؛ حيث يتناول الملامح الفنية والجمالية في كتابات الإمام البنا المتنوعة ، والتي شملت : الخطابة والمقال والقصة والرسائل والترجمة الذاتية ، وقد عالج المؤلف تلك المفردات معالجة متعمقة متنوعة تناولت تعريفًا بكل مفردة ، وبيان منهج الإمام وطريقته، مع الاستعانة بالوقائع التاريخية بقدر المستطاع .

ثم تناول الكاتب الجوانب والعناصر والملامح الفنية في تلك الكتابات وهي :

- مراعاة مقتضى الحال .
- التصوير البياني .
- الأسلوب والأداء التعبيري .
- براعة التمثل والاستشهاد .
- العاطفة .

وكان نهجه في معالجتها :

١- تعريف كل ملمح وتأصيله في اللغة والنقد الأدبي .
٢- ذكر نماذج من النصوص الدالة على كل ملمح .
٣- بيان مدى ارتباط تلك الملامح مع معطيات الإمام الدعوية وم[illegible] التربوي .

وأخيرًا ندعو الله أن ينفع بهذا الكتاب كل من شارك في إخراج[illegible] مطالعته إنه نعم المولى ونعم النصير .

الناشر

دار النشر للجامعات
ص.ب (١٣٠ محمد فريد) القاهرة ١١٥١٨
تليفون ٢٦٣٤٧٩٧٦ - تليفاكس ٢٦٤٤٠٠٩٤
E-mail: darannshr@link.net